جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى
العدد (٢١٢)

حقائق حول عدم أحقية اليهود فى أرض فلسطين

بموجب ما جاء فى التوراة والإنجيل وفى آى التنزيل

أ. د / محمد عبدالعليم دسوقى

القاهرة
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

حقـــائق
حول عدم أحقية اليهود فى أرض فلسطين

بموجب ما جاء فى التوراة والإنجيل وفى آى التنزيل

أ. د / محمد عبدالعليم دسوقى

العدد (٢١٢)

القاهرة

ربيع الأول ١٤٣٤هـ - فبراير ٢٠١٣م

يشرف على إصدارها

أ.د./ طلعت محمد عفيفى

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أ.د/ صلاح الدين عبدالحليم سلطان

الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الاشتراكات: يخاطب بشأنها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٩ شارع النباتات - جاردن سيتى

قيمة الاشتراك السنوى (داخل مصر) ثلاثون جنيهاً (١٢ عدداً)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون﴾.

(الأعراف: ١٢٨، ١٢٩).

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدوننى لا يشركون بى شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾

(النور: ٥٥).

****

***



الإهـــداء

* إلى قدس المسلمين التى لا يجوز لأحد تاريخيًــا ولا دينيًــا – وبموجب ما جاء فى الكتاب المقدس وفى آى التنزيل وعلى ألسنة جميع الأنبياء والمرسلين – أن ينازعهم فيها.

* إلى عز الإسلام وفخر المجاهدين ومهد النبوات، إلـــى زهرة المدائن وعبق التاريخ ومهبط الرسالات.

* إلى أرض الفتوة والجهاد والصبر والإبـــاء، ومهـــبط الملائكة الأصفياء، ومجمع الرسل والأنبياء، ومنتهى مـــسرى الرسول فى الأرض ومبتدى معراجه إلى السماء.

* إلى عزمات صحابة الصادق الأمـــين، وثمـــرة كفـــاح الفاروق أمير المؤمنين، وهمة الصدق فى يمين الناصر صلاح الدين، وقاعدة الرباط إلى يوم الدين، وغضبة الحق فى سيوف الحفدة الميامين.

* إلى كل متدين يؤمن بكتابه ويتمسك بمنهج نبيه ويريد أن يسلك طريق الحق ويعرف كلمة الصدق فى قضية هى مـــن أخطر قضايا العصر.. مسلمًا كان أو مسيحيًا أو يهوديًا.



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

صدر هذا الكتاب أول ما صدر بعنوان: **(الحقائق العشر لحتمية تحول موعود الله من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل)**، وقد زانه وزاد فى قدره: موافقة (مجمع البحوث الإسلامية) بالأزهر الشريف على طبعه ونشره، بيد أن هذا العنوان بدا وكأنه لغز محير، ذلك أنه ليس فى مقدور كل أحد أن يستوعب أن ثمة وعدًا جرى فى يوم من الأيام على ألسنة أنبياء الله (إبراهيم وإسحاق ويعقوب)، لبنيهم من نسل يعقوب بأن يرثوا ويمتلكوا أرض الله المقدسة، وأن ذلك كان مشروطًا بالحفاظ على منهج الله الذى خطه لعباده، وأنهم لما بدلوا وأفسدوا ونقضوا عهودهم ووعودهم جرت عليهم سنة الله فى خلقه والقائل فيها: **﴿ وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾** (محمد:٣٨).. وليس بمقدور كل أحد كذلك أن يستوعب حكمة الله فى أن يأمر خليله إبراهيم عليه السلام فى حياته – بل وقبل أن يولد له (إسحاق) على الصحيح – بالذهاب بهاجر زوجه الثانية وابنه إسماعيل الذى جاءه منها على الكبر، إلى بلاد العرب تمهيدًا لتحول لما يحن وقته بعد، وسيكون بعد زمن طويل وفق علمه تعالى وبعد أن تُهيَّأ أسبابه ويحين وقته.. ولما كان الأمر كذلك آثر مؤلف هذا



الكتاب الوثائقى أن يجعل عنوانه: **(حقائق حول عدم أحقية اليهــود فى أرض فلسطين).**

وإذا كان العنوان الأول قد جاء معبرًا عن حقيقة ما سنه الله فى خلقه من أن **﴿الأرض لله يورثها من يشاء من عباده﴾**، وعن ســنته كذلك فى التحول وفى التمكين فى نهاية المطاف لأهل الحــق وفــى جعل المآل دائمًا وأبدًا لهم **﴿والعاقبة للمتقين﴾**.. (الأعراف: ١٢٨)، فإن الآخر – فيما قد يتراءى للكثيــرين – يتميــز باليســر والوضــوح، وبالبساطة والبعد عن الجدل الدائر واللغط الحاصل حول صحة وجود موعود مسبق وموقوت ومعلَّق، أم أن ذلك كان "لفجــور الــشعوب" يعني: لما جرى منها ومن فرعون لما كذبوا بما جاءهم به موسى من قبل بالبينات، على ما ورد ذكره فى التوراة السامرية وتحديــدًا فــى الإصحاح التاسع من سفر التثنية بالعدد الخامس والسادس، فقد جــاء فيهما ما نصه: "ليس بزكاتك ولا بسلامة قلبك أنــت داخــل لوراثــة أرضهم، بل لفجور الشعوب، هؤلاء الله قارضهم من بين يديك وحتى يثبت الأمر الذى أقسم لآبائك لإبراهيم ولإسحاق وليعقوب. فــاعلم أن ليس لزكاتك الله إلهك معطيك الأرض الحسنة هذه وراثة، إذ شــعب قاسى العرف أنت".. وعلى تقدير أن ثمة موعودًا بالريــادة والنبــوة والإمامة لبنى إسرائيل بحق، فهل كان ذلك على إطلاقه حتى يتــسنى

لإسرائيل أن تتخذ منه ذريعة في أن تحتل أرض الغير وتهلك الحرث والنسل بزعم هذا البعد الديني والتاريخي؟.. وكيف وعلى أي أساس تم تحويله عنهم – وفق سنته تعالى في خلقه وعلى ما ألمح إليه النص السالف الذكر – إلى غيرهم؟.

ومهما يكن من أمر، فما أراه: أن عنونات هذا الكتاب المتعاقبة تهدف إلى تجلية الأمور المعماة في هذه القضية المصيرية، وهي مهما تغيرت فإن بعضها يكمل بعضًا، ولا يمكن فهم جميعها حق الفهم إلا بمعرفة مجموعة تلك الحقائق التي تضمنتها المادة العلمية لهذا الكتاب المتواضع، ذلك أن العلمانية التي طغت وأذهبت معها الدين والحق معًا في نفوس السواد الأعظم من عامة الناس وخاصتهم، بل ومن جميع طوائف البشر إلا من رحم الله، هي التي جعلتهم بعيدين كل البعد عن تقصي حقائق ما في هذا الكتاب المتكئ على نصوص الكتب المعتمدة والمتعبد بها لدى اليهود والنصارى والمسلمين، وسبرها والوصول من خلالها إلى كلمة سواء.

والذي يجب أن يكون حاضرًا دائمًا وأبدًا في الأذهان: هو أن الله لا يرضى لعباده الكفر، ومن ثم فقد قضت حكمته أن لا ينال عهده الظالمين ولا ينال الظالمون عهده، ومضت سنته في أن الأرض له يورثها عباده الصالحين الرحماء، تلك هي الحقيقة التي يماري فيها البعيدون عن منهج الله وغير العارفين بسنته تعالى في



خلقه، ولاسيما فى معالجة مشكلة الشرق الأوسط التـــى عـــلا فيهـــا صوت الغوغاء، وانمحت بسببها لغة العقول وروح الشرائع، وراجت حولها دعايات وأكاذيب الآلة الإعلامية الصهيونية الجهنميـــة التـــى أشاعت بالباطل أحقية اليهود فى تلك الأرض المقدسة وأذاعت بـــه، وأقرت وارتضت فى سبيل تحقيقه كل ما يفعله فـــى عـــصرنا قتلـــة الأنبياء وعبدة الطاغوت وإخوان القردة والخنازير ومَن لا يرقبـــون فى مسلم إلّا ولا ذمة، ضد أصحاب هذه الأرض على الحقيقـــة، مـــن استخدام كل ألوان البطش والعربدة، والتهجير والتدمير، وسفك الدماء والإبادة الجماعية واستخدام الأسلحة المحرمة دوليًا، والحبس والسحق واتباع كل ألوان التعذيب، وسلب الأرض وهتك العـــرض وإهـــلاك الحرث والنسل، بحيث لم يسلم من شرورهم طفل ولا شاب ولا رجل ولا امرأة ولا عجوز ولا كهل.

ويأتى هذا الكتاب الوثائقى ليميط اللثام عن مجموعة من الحقائق التى تكشف عن هذه السنن، وتناقش وتفند ما يجرى علـــى الـــساحة العربية والدولية الآن من لغط فى أحقية بنـــى إســـرائيل فـــى أرض فلسطين أو أجزاء منها، وليضع حدًا لما يجرى على أرض هذا البلـــد العربى الإسلامى (فلسطين) وما يحدث من انتهاكات لأنفس ومقدسات المسلمين هناك بشكل دائم لا تبدو معه ولا تلوح فى الأفـــق القريـــب

حياله نهاية، تلك الانتهاكات التى أضحت شاهدة عيان على أن هؤلاء المجرمين لا يريدون العيش – مع من احتلوا أرضهم وديارهم – فى أمان، ولا يرومون ولا يسعون معهم إلى سلام، ولا يقنعون بما تحت أيديهم مما استلبوه من بلاد المسلمين التى آوتهم بعد أن طردوا من غيرها من بلاد الشرق والغرب شر طردة، وإنما يريدون – عن طريق ترويج الأكاذيب ولى الحقائق – تحقيق المزيد من مطامعهم وأن يكون الوطن العربى كله من النيل إلى الفرات بل والإسلامى كذلك، أسير شهواتهم ومرتع نزواتهم وعنصريتهم، وأن يدمروا مع ذلك أولى قبلتى المسلمين وثالث حرميهم الشريفين، ليبنوا على أنقاضه أسطورة طالما تغنوا بها أسموها (الهيكل).. وإلى وحده تعالى المشتكى، **﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**.

من هنا – ولاسيما فى تلك الأيام التى يراد للصوت الإسلامى العربى فى فلسطين وبشتى الوسائل والضغوطات الداخلية والخارجية، أن يخفُت أو يعترف لإسرائيل بحق احتلال الأرض والمساومة على حق هذا الشعب الضائع والمغلوب على أمره – كان لزامًا أن نكشف الحقيقة كاملة غير منقوصة إن كنا نريد الوصول إليها ونريد معها الوصول إلى رضائه تعالى والجنة..

والله تعالى هو الموفق والهادى إلى سواء السبيل ..



تمهيد

أول ما تستدعيه الذاكرة المؤمنة عندما تُذكر فلسطين.. المسجد الأقصى والقدس الشريف، والسر فى ذلك ببساطة شديدة يكمن فى: ارتباط هذين المكانين بمعتقدات المسلمين وبعباداتهم، وبجهادهم وبقرآنهم وبنبيهم، كما يَمثل فى: ارتباطهما بوحدة الدين وانتقال السيادة والإمامة إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لكونها ونبيها أولى الناس بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، الذى طلب ذلك لذريته عندما قال له ربه: ﴿ **إنى جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذريتى**﴾، فأجابه سبحانه: ﴿ **قال لا ينال عهدى الظالمين**﴾ (البقرة: ١٢٤)، لكن وبتبجح منقَطِع النظير، يتردد دائمًا وأبدًا على ألسنة زعماء أبناء صهيون وحاخاماتهم، أن بيت المقدس ملك لشعب يهود، وأن القدس الشريف عاصمة دولتهم المزعومة.. ويغريهم بذلك مساندة أمريكا والغرب لهم من جانب، وغفلة العرب والمسلمين وغياب الحقائق عنهم من جانب آخر.

ونذكر ضمن هذه التصريحات ما جاء على لسان أحد رؤساء وزرائهم السابقين وهو إيهود باراك الذى لم يكتف بالقول بأن "ستكون هناك أورشليم أكبر مما كانت عليه منذ الملك داود، وستكون موحدة

ومعترفا بها من العالم كعاصمة لإسرائيل"[1]، حتى أتبع القول بالعمل فسمح وقت أن كان رئيسًا للوزراء[2]، لزعيم الحزب المتطرف المعارض والذى أضحى رئيسًا للوزراء فيما بعد آريل شارون – باعتباره أول زعيم يهودى يتعامل مع قضية القدس بجدية ويسعى للقضاء على الوجود العربى والإسلامى بها – بارسال كتيبة من العسكر بلغ قوامها ثلاثة آلاف، لحمايته أثناء اقتحام المسجد الأقصى فى رجب ١٤٢١هـ سبتمبر لعام ٢٠٠٠م، أى فى ذكرى تحرير صلاح الدين للقدس فى رجب ٥٨٣هـ سبتمبر ١١٨٧م.

ومنذ تلك اللحظة والعالم يشهد – دون أن يحرك ساكنًا – حرب الإبادة الجماعية الذى يتعرض له الشعب الفلسطينى المسلم، وحجم التدمير الذى تتعرض له بلاده بكل همجية وعنصرية، كما يرقب الانحياز الأمريكى الأعمى والصمت الغربى المريب على إسرائيل وما تقوم به من أعمال عدوانية بربرية حتى على الأطفال والنساء والعجزة فى بقعة هى عند المسلمين من أطهر بقاع الأرض.

---

(١) جريدة الأهرام القاهرية فى غرة رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢٩/ ٩/ ٢٠٠٠ الصفحة الأولى.

(٢) فى محاولة منه لتنفيذ مخططاته الأربعة لتهويد القدس والإحاطة بها من كل جانب تمهيدا لما أسماه (مشروع القدس الكبرى) الذى يقضى حسب ما أعلنته الحكومة الإسرائيلية فى ديسمبر ١٩٧٤ بتوسيع حدود القدس لتضم إليها ثلاث مدن و٢٧ قرية عربية، وأصدر الكنيست بشأنه في ٣٠/ ٧/ ١٩٨٠ قانونا يعتبر القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل.



ومما تجدر الإشارة إليه وينبغي أن يعيه كل مسلم، هو أن رفع شعار (أن تكون القدس عاصمة لإسرائيل الموحدة) والعمل من ثمّ على تحريرها من سكانها العرب والمسلمين.. إنما ينبع لدى أولئك الساسة ورجال الدين من منطلق عقدي يتمثل في أنها الأرض التي وعدوا بها على ألسنة رسلهم، وقد تم التخطيط لهذه الانطلاقة منذ بداية هذا القرن على يد (هرتزل) الذي فكر في إقامة دولة يهودية سياسية، ثم عدل عن ذلك لما بدا له معارضة مؤتمر الحاخامات، وعدم رغبة يهود العالم في النزوح عن بلادهم التي استقروا فيها.

الأمر الذي دعاه لأن يعمل على تحويل الموضوع من قضية سياسية إلى قضية دينية يلهب بها عواطف جماهير اليهود، وقد رأى أن فلسطين هي المكان الوحيد الذي يناسب هذه الدعوة الجديدة، باعتبارها حسب ما تقضي به عقائد اليهود الباطلة (أرض الميعاد)[1].

---

(١) وكانت بريطانيا قد عرضت عليه سنة ١٩٠٣م فكرة استيطان اليهود في (أوغندا) لاعتدال مناخها وغناها، غير أنه رفض هذا العرض كما رفضه المؤتمر الصهيوني، ومن قبل عرض عليه وزير المستعمرات البريطاني تشامبرلين في أكتوبر ١٩٠٢م فكرة جعل الاستيطان في منطقة العريش بسيناء وفشل نظرًا للصعوبات التي كانت حول النزاع على حدود سيناء مع الدولة العثمانية، كما لم تنجح فكرة جعله على ضفتي نهر الأردن، تلك الفكرة التي تبناها من قبل اليهودي الفرنسي (موسى هس)، وآثر هرتزل تنفيذ خطته – التي ساندته فيها بريطانيا بعد أن تصاعدت هجرة يهود روسيا وأوروبا الشرقية إلى أرض فلسطين – واضعًا في اعتباره تراثًا دينيًا لم يكن هو شخصيًا يؤمن به... الأمر الذي يعكس رغبة أوروبا في التخلص=

وانتصرت فكرة (هرتزل)[1] التى تضمنت – على ما جاء فى وقائع المؤتمر الصهيونى الأول المنعقد فى مدينة (بازل) السويسرية فى سبتمبر من عام ١٨٩٨م – قيام دولة إسرائيل فى فلسطين بعد خمسين عامًا، وقيام إسرائيل الكبرى التى تشمل على حد زعمهم الحدود التاريخية والدينية الممتدة من النيل إلى الفرات بعد مائة عام، وهى ما تسعى الآن جاهدة فى سبيل تحقيقه حين أقدم حلفاؤها من الأمريكان والغرب على غزو العراق.. ودعا هرتزل فى سبيل تحقيق فكرته، لإزاحة السلطان عبد الحميد الثانى خليفة المسلمين، الذى كان يمثل العقبة الكؤود أمام تحقيق الحلم الصهيوني، وكان لهرتزل فيما بعدُ ما أراد، فقد احتضن المؤتمر اليهودى العالمى فكرته عام ١٩٠٥م أى بعد وفاته بسنة واحدة، وعمل اليهود من ساعتها على تقويض

= من اليهود بأى شكل مع إيمانها بالمشروع الصهيونى الذى يهدف إلى شغل البلاد المسلمة والضغط عليها من جانب، وإلى زرع جسم غريب يستنزف طاقاتها وقدراتها وثرواتها من جانب آخر، كما ينقض دعاوى القومية التى تذرع بها اليهود وبالتالى عدم صحة ادعاءاتهم حول أرض الميعاد من جانب ثالث.. ينظر (الإمبريالية والصهيونية) د.بشير نافع ص٨٢ وما بعدها و(القدس عربية إسلامية) د.فرج راشد ص٢٠٧ وما بعدها.

(١) سبقه إليها الكاتب الألمانى (موزيسى هيسي) فى عام ١٨٦٢بعد أن تراجع عن فكرته التى أودعها كتابه (تاريخ البشرية) تلك الفكرة التى كان يقول فيها: "إن شعب الله المختار ينبغى أن يختفى إلى الأبد، ليفسح الطريق لحياة جديدة أكثر نقاء وطهرًا".



الخلافة الإسلامية، وساعدهم فى كل هذا ومازالت، قوى كبرى حاقدة على الإسلام والمسلمين.

ومن يوم أن وعد (بلفور) وزير خارجية بريطانيا يهود العالم بإقامة وطن قومى لهم فى فلسطين فى ١٩١٧/١١/٢م ليعطى من لا يملك وطناً لمن لا يستحق، والأحداث تتواصل بسرعة مذهلة.. فما أن أقامت إسرائيل دولتها فى١٩٤٨/٥/١٥م واعترفت بها روسيا بعد ثمان دقائق، وأمريكا بعد نصف ساعة، وقررتا أن إسرائيل خلقت لتبقى.. حتى دخلت فى الخامس من يونيو ١٩٦٧م فى حرب مع جيرانها من العرب، استولت خلالها على القدس الشريف والضفة الغربية وغزة وجنوب لبنان ومرتفعات الجولان وأرض سيناء .

ثم ما لبث أن فجع العالم الإسلامى بعدها بـ (مناحم بيجن) يضيف إلى البعد السياسى الذى انتزعه الصهاينة دون أى مستند لوضع القدس، بعدًا آخر دينيًا.. وذلك أثناء تعقيبه على خطاب الرئيس (السادات) – رحمه الله – أمام الكنيست؛ حيث قال مؤكدًا هذا الحق المزعوم: "إن حق إسرائيل فى فلسطين حق أبدى تاريخى تشهد له الكتب، ومنها القرآن نفسه".. وبعد استدلاله على دعواه الكاذبة، بقول الله تعالى على لسان موسى: ﴿ **يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا**

خاسرين﴾ (المائدة: ٢١)، أردف يقول "إن الله فرض لنا الأرض المقدسة دون سائر الخلق فلا يجوز لأحد دينيا أن ينازعنا فيها"[(١)].

ونسى هذا وكل من يردد قوله، بل وكل من انطلى عليه هذا الكلام دون أن ينبث ببنت شفة، ما حدثت به الأجيال جيلًا بعد جيل عن مكر هؤلاء اليهود منذ أن خلقهم الله، وعن ظلمهم الذى ورثوه كابرًا عن كابر، وما جرت به سنة الله فى أن الله تعالى بنصر الأمة العادلة ولو كانت كافرة ويمحق الأمة الظالمة ولو كانت مؤمنة.. نسى كل هؤلاء ومع كل ما ذُكر، أن ﴿ **الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾** (الأعراف: ١٢٨)، وأن سنة الله الماضية تقضى بأن البقاء للأتقى والأحفظ لتعاليم الرب واتباع أنبياء الله ورسله، على ما أفاده قول الله تعالى: **﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين* ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾** (إبراهيم: ١٢، ١٣)، يعنى: لما تمادت أمم الرسل فى الكفر وتوعدوا رسلهم بالوقوع بهم، أوحى الله إليهم بإهلاك من كفر بهم من أممهم وتوريثهم أرضهم وديارهم وَوَعَدَهم النصر.. وقوله كذلك: **﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض**

---

(١) ينظر (القدس قضية كل مسلم) د. يوسف القرضاوى ص٩٧.



ليخرجوك منها وإذًا لا يلبثون خلافك إلا قليلا * سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ (الإسراء: ٧٦، ٧٧).

يقول أهل العلم والتفسير: إن (سنة) "نصب على المصدرية، أي: سننا فى ذلك سنة من أرسلنا قبلك من رسلنا.. إلخ، وهى أن لا ندع أمة تستفز رسولها لتخرجه من بين ظهرانيها، تلبث بعده إلا قليلًا، فالسنة لله وأضيفت للرسل عليهم السلام لأنها سُنَّت لأجلهم، ويدل على ذلك قوله تعالى: **﴿ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾**، كذا ذكره الألوسي والطبري[1].

وإذا كان ذلك هو عينة مما جرى وفق سنة الله وما حصل لسائر الأمم الكافرة، فما يكون الحال لمن جمعوا – على مدار تاريخهم الطويل – مع إخراج الأنبياء والاعتداء عليهم بسائر أنواع الاعتداء، والبطش بهم، التآمر على قتلهم والكفر بالرب وعبادة العجل والنقض لجميع ما أمر به الله تعالى؟!.

ومصداقه فى كتب القوم، ما جاء فى سفر (لاويون٢٥: ٢٣) من قول الرب فى خطابه لبنى إسرائيل: "والأرض لا تباع بتةً. لأن لى الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي".. وما جاء فى سفر حزقيال

---

(١) روح المعانى ١٥/ ١٩٠ مجلد ٩ وينظر ١٣/ ٢٨٩ مجلد٨ وجامع البيان للطبرى ١٣/ ١٢٩ مجلد٧، ١٥/ ٩٠ مجلد٨

١١: ١٧ – ٢١ "قال السيد الرب: إنى أجمعكم من بين الشعوب وأحشركم من الأراضى التى تبددتم فيها وأعطيكم أرض إسرائيل. فيأتون إلى هناك ويزيلون جميع مَكْرُهَاتِها وجميع رجاساتها منها. وأعطيهم قلبًا واحدًا وأجعل فى داخلكم روحًا جديدًا وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم. لكى يسلكوا فى فرائضى ويحفظوا أحكامى ويعملوا بها ويكونوا لى شعبًا فأنا أكون لهم إلهًا. أما الذين قلبهم ذاهب وراء قلب مَكْرُهَاتِهِم ورَجاساتِهم فإنى أجلب طريقهم على رؤوسهم".

كما نسى معشر يهود أن سنة الله تقضى بألا يمكن إلا لمن يقيم العدل فى الأرض، ويشيع الصلاح بين جنباتها، كى تنسجم حركة الكون مع من فيه، وبذا يعمر الكون بذكر الله، ويشدو من فيه بتوحيده، إذ الكون وما فيه ومن فيه ما خلق إلا لهذا على ما جاء فى قوله: **﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾** (الإسراء:٤٤)، وقوله:

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦).

ونسوا كذلك أو تناسوا أن تاريخهم الأسود بماضيه البائس وحاضره اليائس، ملطخ بدماء الأبرياء ومليء بانتهاك حرمات رب الأرض والسماء، ومفعم بالتآمر على أنبياء الله والصلحاء من عباده ممن يأمرون بالقسط من الناس بل وقتلهم فى أكثر الأحيان، ومترع بكتمان وتحريف الكلم عن مواضعه، وحافل بضروب الظلم ومختلف



الجرائم، وتلك أمور تحول– من دون شك ووفق سنن الله فى خلقه – دون التمكين فى الأرض أو التمايز عن الخلق، ذلك أن الذى فضلهم فى وقت من الأوقات على العالمين، ووعدهم – إن هم أقاموا عهده – بالتمكين، هو الذى قضى على ألسنة رسله وفى جميع كتبه – ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه – ألا يمكن إلا لعباده الصالحين، وألا ينال عهده الظالمين، يقول الأعمش سألت سعيد بن جبير عن قول الله تعالى: ﴿**ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون**﴾ (الأنبياء : ١٠٥)، فقال: الزبور: التوراة والإنجيل والقرآن، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الزبور: الكتب التى نزلت على الأنبياء، والذكر: أم الكتاب الذى يكتب فيه الأشياء قبل ذلك، وبمثله قال ابن جرير والثورى ومجاهد[١].

وإذا كان أبناء صهيون يدَّعون أن نصوص كتبهم، بل ونصوص قرآننا المتبرئ منهم ومن فعالهم، تشير إلى وعد قطعه الله على نفسه أن يمكن لإبراهيم ولنسله من بعده فى أرض فلسطين (أرض الميعاد)، فإن هناك مجموعة من الحقائق المهمة التى تجدر الإشارة إليها والتذكير بها، وتتمثل في:

---

(١) ينظر تفسير أحكام القرآن للقرطبى ٤٥٢٩/٦ وتفسير ابن كثير ٢٠٧/٣.

الحقيقة الأولى

تعليق موعود الله لبنى إسرائيل على استيفاء الموعود

إن وعد الله بالسيادة والإمامة كان بالنسبة لبنى إسرائيل وعدًا مشروطًا بتنفيذ التعاليم، وبصون أوامر الرب وبحفظ العهود والمواثيق التى أخذت عليهم، وذلك بعد أن آتى الله إبراهيم رشده وكان عالماً ببره وإيمانه، وبعد أن منحه أرض الميعاد وجعلها فى بنيه وذريته من إسحاق وإسماعيل قائلاً له: "اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك. فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة. وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض. فذهب أبرام كما قال له الرب".. هكذا كانت البداية على حد ما جاء فى سفر التكوين – أحد أسفار العهد القديم فى الكتاب المقدس – الإصحاح ١٢ العدد ١-٤.

ولقد أوضح القرآن ما أوضحته الكتب السماوية الأخرى، أن استخلاف الأرض لأىِّ إنسان وأمة، له ثمن لا بد من دفعه وتحمله، وينحصر ذلك الثمن فى عبادة الله وحده وصون أوامره واجتناب نواهيه، وذلك قوله سبحانه: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً﴾** (النور:٥٥).

كما ذكر لنا المولى في غير ما سورة، تفاصيل ما كان لذرية إسرائيل بن إسحاق من تمكن إبان فترة صلاحهم، وكيف أن الله أورثهم – بعد أن كانوا مستضعفين – مشارق الأرض ومغاربها، وبوأهم – بعد ذل وقهر من فرعون وملئه – مبوأ صدق، ومكنهم من أرضهم وديارهم وجنّاتهم، وإن كانت بالنسبة لبني إسرائيل – على ما يبدو – تجربة قاسية وامتحانًا صعبًا، كشف عن جزع ولؤم في طباع سوادهم الأعظم أحس بهما موسى عليه السلام حينما بثوا شكواهم إليه من جراء ما عايشوه من بطش قال الله في شأنه: **﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى ومن معه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون* قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين* قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾** (الأعراف: ١٢٧- ١٢٩).

والقصة باختصار أنه لما طال مقام موسى – عليه السلام – ببلاد مصر وأقام بها حجج الله وبراهينه على فرعون وملئه، وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون.. دعا عليهم بقوله: **﴿ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا**

اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنــوا حتــى يــروا العذاب الأليم﴾ (يونس:٨٨).

وشاءت إرادة الله أن يجيب دعاءه، فأمره أن يخرج ببنى إســرائيل ليلاً من مصر وأن يمضى بهم خفية حيث يُؤمر ودون إذن من فرعون، الأمر الذى أثار حفيظته، وكان هذا الفرعون الجبار العنيــد قــد تــسلط عليهم، يستعملهم فى أخس الأعمال ويكدهم ليلاً ونهــارًا فــى أشــغاله وأشغال رعيته، ويقتل مع ذلك أبناءهم ويــستحى نــساءهم إهانــة لهــم واحتقارًا، وخوفاً من أن يوجد منهم الغلام الذى كان قد تخوف هو وأهل مملكته منه، فيكون هلاكه وذهاب دولته على يديه[1].

وقد كان، فقد أغرقهم الله فى اليم الذى فَرّقه لموسى فجاوزه هو ومن معه من بنى إسرائيل، وأقرّ أعينهم وهم ينظرون إلى فرعــون وإلى جنده وحاشيته من أولى الحــل والعقــد والــوزراء والأمــراء والكبراء والرؤساء وقد أغرقوا جميعًا فى صبيحة يوم واحد، كما قال تعالى: **﴿وإذ نجيناكم من آل فرعــون يــسومونكم ســوء العــذاب**

---

(١) وكان القبط قد تلقوا هذا من بنى إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم حــين ورد الديار المصرية، وجرى له مع جبارها ما جرى لما أراد أخذ زوجه ســارة ليتخــذها جارية، فصانها سبحانه بقدرته، وبشر إبراهيم ولده أنه سيولد من صلبه وذريته من يكــون هلاك فرعون مصر على يديه، فكانت القبط تحدث بهذا عنــد فرعــون.. ينظــر تــاريخ الطبرى ١/٣٨٨ والكامل لابن الأثير ١/١٠١ وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٢ ، ٣٩٣.



يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم* وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظـرون﴾ (البقرة:٤٩، ٥٠)، وأورثهم بعد ذلك ديارهم وأموالهم وملكهم بعد أن أخرج الله منها فرعون وملئه بلا رجعة، كما قال تعالى: **﴿فأخرجناهم من جنات وعيون* وكنوز ومقام كريم* كذلك وأورثناها بنى إسرائيل﴾** (الشعراء: ٥٧-٥٩)، وقال: **﴿كم تركوا من جنات وعيون* وزروع ومقام كريم* ونعمة كانوا فيها فاكهين* كذلك وأورثناها قومًا آخرين﴾** (الدخان: ٢٥- ٢٨).

ولكن ظلت نفوس بنى إسرائيل مع كل ذلك، مشرئبة ومتطلعة وطالبة بلاد المقدس التى قصدها من قبل جدهم إبراهيم عليه السلام، مهاجرًا من وطنه الأصلى بالعراق ووعدهم بها[1]، وجاءت الأوامر إثر ذلك - بل ومن قبل إهلاك فرعون - تترًا على يد وعلى لسان نبيهم موسى عليه السلام على ما ورد فى نصوص كتبهم من نحو

---

(١) بناء على وعد الرب الذى ورد ذكره فى نحو قوله لإبراهيم: "لنسلك أعطى هذه الأرض" [تكوين ١٢: ٧ وينظر ١٢: ١-٤]، ومصداقه ما جاء فى قوله تعالى حكاية عنهم وعن فرعون: **﴿ فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعًا* وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض..﴾** (الإسراء:١٠٣- ١٠٤)، "فالأرض الأولى المعهودة هى أرض مصر، والأرض الثانية أرض الشام وهى المعهودة لبنى إسرائيل بوعد الله إبراهيم إياها".. التحرير والتنوير لابن عاشور ١٥/٢٢٨ مجلد٧.

ما جاء في الإصحاح ٦ العدد١٧، ١٨من سفر التثنية أن "احفظوا (يعني: إن كنتم تريدون ذلك) وصايا الرب إلهكم وشهاداته وفرائضه التي أوصاكم بها[1]. واعمل الصالح في عيني الرب لكي يكون لك خير وتدخل وتملك الأرض الجديدة التي خلف الرب لآبائك.

ومما يتضح منه كذلك أن الوصية بالوعد بتوريث الأرض مشمولة بالوعيد إذا انقلبوا ؛ سواء كان هذا أيام موسى أو غيره من الأنبياء [2].. وما جاء في الإصحاح٨ العدد١٧- ٢٠من نفس السفر: " لئلا تقول في قلبك : قوتي وقدرة يدي اصطنعت لي هذه الثروة. بل اذكر الرب إلهك أنه هو الذي يعطيك قوة لاصطناع الثروة لكي يفي بعهده الذي أقسم لآبائك كما في هذا اليوم. وإن نسيت الرب إلهك وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها، أشهد عليكم اليوم

---

(١) وكان ضمن هذه الوصايا بعد عبادة الله والإحسان إلى الوالدين وحفظ يوم السبت، ما جاء في سفر التثنية ٥: ١٦-٢١ "ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلهك – وعبارة سفر الخروج ٢٠: ١٢ " لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك" – لا تقتل. ولا تزن. ولا تسرق. ولا تشهد على قريبك شهادة زور. ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله..."، فأين هم من كل ذلك؟ وأما آن لهم أن يعرفوا أن زوال النعمة وتحولها عنهم إنما كان بزوال أسبابها؟ وهلا اتخذوا مما سبق لهم عظة وعبرة؟.

(٢) أليس هذا ما يمثل واقع اليهود الذين كانوا ولا يزالون يعيشون فيه.

أنكم تَبيدون لا محالة. كالشعوب الذين يبيدهم الرب من أمامكم كذلك تبيدون لأجل أنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم".

ونظير ذلك نطقت به التوراة السامرية، وفيهـا علـى غـرار ما جاء فى نص العبرانية الأخير: "ولئلا تقول فـى سـرك: حيلـى وعظم يدى اصطنعت لى الأيسار هذا. بل تذكر الله إلهك أنه المعطى لك القدرة على اكتساب الغنى حتى يثبت عهده الذى أقـسم لآبائـك، لإبراهيم ولإسحاق وليعقوب كاليوم هذا. وتكون إن نسيان تنـسى الله إلهك فتضل فى اتباع آلهة أخرى وتعبدها وتسجد لها، أشهدت عليكم اليوم، أن هلاكا تهلكون. كالشعوب الذين الله مهلك من قدامكم، كذلك تهلكون جزاء أن لم تسمعوا من أمر الله إلهكـم".. وفـى الإصـحاح التاسع من نفس النسخة والسفر ٤-٦: "لا تقل فى سرك إذ يـدفع الله إلهك إياهم من بين يديك قولًا: لزكاتى أدخلنـى الله لوراثـة الأرض هذه، ولفجور الشعوب هؤلاء الله قارضهم من بين يديك. ليس بزكاتك ولا بسلامة قلبك أنت داخل لوراثة أرضهم، بـل لفجـور الـشعوب هؤلاء الله قارضهم من بين يديك وحتى يثبت الأمر الذى أقسم لآبائك لإبراهيم ولإسحاق وليعقوب. فاعلم أن ليس لزكاتك الله إلهك معطيك الأرض الحسنة هذه وراثة، إذ شعب قاسى العرف أنت".. وفى العدد الأول من نفس النسخة والسفر والإصحاح: "كل الوصايا التـى أنـا

موصيك اليوم تحفظون للامتثال حتى تبقوا وتكثروا وتدخلوا وترثوا الأرض التى أقسم الله لآبائكم".

وليس هناك أكثر صراحة فى تعليق الجواب على الشرط وتوقف التمكين – سواء الذى حدث لهم أيام موسى وما أعقبها أم فى عهد سليمان – على أمر الطاعة وحفظ الوصايا، مما جاء فى سفر الملوك الأول٩: ٣-٩فى مخاطبة الله لسليمان بن داود عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام وفيه: "قال لـه الرب قد سمعت صلاتك وتضرعك الذى تضرعتَ به أمامي، قدستُ هذا البيت الذى بنيتَه لأجل وضع اسمى فيه إلى الأبد وتكون عيناى وقلبى هناك كل الأيام. وأنت إن سلكت أمامى كما سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامة، وعملت حسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضى وأحكامي. فإنى أقيم كرسى ملكك على إسرائيل إلى الأبد كما كلمت داود أباك قائلا: لا يعدم لك رجل عن كرسى إسرائيل. إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائى ولا تحفظون وصاياى – فرائضى – التى جعلتها أمامكم بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها. فإنى أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التى أعطيتهم إياها، والبيت الذى قدسته لاسمى أنفيه من أمامى ويكون إسرائيل مثلا وهزأةً فى جميع الشعوب. وهذا البيت يكون عبرة، كل من يمر عليه يتعجب ويصفُرُ ويقولون: لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت. فيقولون من أجل أنهم

تركوا الرب إلههم الذى أخرج آباءهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها، لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر".

والسؤال: هل وفَّى بنو إسرائيل بعهودهم ومواثيقهم؟ وهل نفذوا تعاليم دينهم؟ وهل التزموا بأوامر أنبيائهم؟ وهل تغير حال أشـياعهم – فى واقعنا المعاصر – عن حال أسلافهم فى الأزمان الغابرة؟.

الحقيقة الثانية

إخلال بنى إسرائيل بشروط موعود الله

إن الجواب المنصف عن الأسئلة - السالفة الذكر - والبعيد عن كل تعصب، يدعونا لأن نسوق - لإثبات نقض سوادهم الأعظم لجميع المواثيق وخرقهم لجميع العهود وعصفهم بجميع الأوامر وتآمرهم على جميع الأنبياء - طرفًا مما جاء في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم، ذلك أن ما أحدثه الله لبنى إسرائيل من نعم وتمكين ومن إنجاء وتفضيل على العالمين، كان ينبغي أن يقابل بالشكر والاعتراف بالجميل والانكباب على عبادة الله وحده وعدم الإشراك به.

لكن ما حدث منهم كان على العكس من ذلك تمامًا، فقد وقع منهم ما أحس به موسى عليه السلام وما تخوف منه، فما أن تجاوزوا معه البحر قاصدين ما اشرأبت إليه نفوسهم وتطلعت إليه أفئدتهم من دخول الأرض المقدسة، حتى تناسوا كل ما أوصاهم به ربهم على لسانه، وراحوا وهم في صحبته يؤملون أنفسهم بعبادة الأصنام، بل وشرعوا - دون ما حياء ولا استحياء - يطلبون ذلك منه، وفى ذلك يقول سبحانه: ﴿ **وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون* إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا**



يعملون* قال أغير الله أبغيكم إلهًا وهو فـضلكم علـى العـالمين﴾ (الأعراف: ١٣٨- ١٤٠).

وبعد أن قال لهم موسى كلمته ووعظهم بأن ما يطلبونـه يعـد جهلًا فاضحًا يجب أن يربأوا بأنفـسهم عنـه، وبعـد أن أوصـاهم وأرشدهم لما فيه صلاحهم، تعجل الذهاب لملاقاة ربه تحرقا وشـوقا وطلبا لرضاه، واستخلف عليهم أخاه هارون ورجـاه الترفـق بهـم ووصاه بالإصلاح وبجمع الكلمة وعدم الإفساد، لكن أنـى لهـارون ولا لمئات أو حتى لآلاف من مثله أن تفلح دعوتهم مع قوم يجـرى الكفر وإغاظة الرب به فى نفوسهم مجرى الدم فـى العـروق، لقـد تحدثت جميع الكتب السماوية عما جرى من بنى إسرائيل عقب ذلـك وذكرت أنه ما إن ذهب موسى لميقات ربه حتى أعلمه سبحانه مـن هناك، بأن قومه اتبعوا السامرى واتخذوا العجل معبودًا لهم من دون الله[١]، وذلك بعد أن فشلت معهم دعوة هـارون، وبعـد قولـه لهـم: **﴿ يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى﴾** (طه:٩٠)، وبعد أن كان جوابهم له:**﴿ لن نبرح عليـه عـاكفين حتـى يرجع إلينا موسى﴾** (طه:٩١)، الأمر الذى أوقع هارون فى حرج شديد مع أخيه موسى، ظنًا من الأخير أن هارون قصَّر فـى نهـيهم عـن

(١) ينظر فى غير آى القرآن سفر التثنية ٩: ١١-١٩.

عبادة العجل أو لم يحسن تنفيذ ما كلفه به كليم الله فى قوله: **﴿اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾** (الأعراف:١٤٢)، أو خشية أن يقول له موسى: **﴿ فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولي﴾** (طه:٩٤).

وكان حاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط فألقوها عنهم وعبدوا العجل! وذلك بعد أن صاغوه من الذهب والحلى الذى استلبوه من مصر واصطحبوه معهم، وكان هارون قد أشار عليهم أن يلقوا به فى حفرة فيها نار فيجعلونه سبيكة واحدة، حتى إذا رجع موسى عليه السلام رأى فيه ما يشاء[1]، لكن كان ما حكاه القرآن فى قوله سبحانه: **﴿ فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا﴾**، أي:

أما وعدكم على لساني، كل خير فى الدنيا والآخرة وحسن العاقبة كما شاهدتم من نصرته إياكم على عدوكم وإظهاركم عليه وغير ذلك من أيادى الله، وقيل هو ما وعدهم به سبحانه من الوصول إلى جانب الطور الأيمن، وما بعد ذلك من الفتوح فى الأرض والمغفرة لمن تاب وآمن، وغير ذلك مما وعد الله تعالى أهل طاعته، **(أفطال عليكم العهد)**، بنسيان ما سلف من نعمه وما بالعهد من

(١) ينظر تفسير ابن كثير ١٦٥/٣– ١٦٩.



قدم، **﴿أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فـأخلفتم موعـدي﴾** (طه:٨٦) [(١)]، وكان الغضب الذى أصابهم بإرادتهم وافترائهم، أن أذلهم الله ولم يقبل منهم توبة حتى يقتل بعضهم بعضًا كمـا قـال تعـالى: **﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكـم عنـد بـارئكم﴾** (البقرة:٥٤).

وجاءت تصريحات التوراة والإنجيل والقرآن بعبادة القوم ومـن تلاهم من الأبناء والأحفاد لغير الله، وبقـتلهم الأنبيـاء بغيـر حـق، وبنقضهم المواثيق التى أخذها الله عليهم فى معظم فترات حيـاتهم.. مما يعنى أن ما حُكى عنهم فى هذا الصدد، هو ممـا لا يـستطيعون إنكاره أو تكذيبه، وهو عينه الذى أدى بهم إلى إيقاع وعيد الله بهم من تشتيت ومحق كانوا هم السبب فيه.

ففى سفر الملوك الثانى ١٧: ١١– ٢٠ "عملوا أمـورًا قبيحـة لإغاظة الرب. وعبدوا الأصنام التى قال الرب لهم عنهـا لا تعملـوا هذا الأمر. وأشهد الرب على إسرائيل وعلى يهوذا – أى بنيهمـا – عن يد جميع الأنبياء قائلا: ارجعوا عن طـرقكم الرديـة واحفظـوا وصاياى – فرائضى – حسب كل الشريعة التى أوصيت بها آبـاءكم والتى أرسلتها إليكم عن يد عبيدى الأنبياء. فلم يسمعوا بـل صـلبوا

(١) السابق ٣/ ١٦٦ وروح المعانى للآلوسى ١٦/ ٣٥٨ من المجلد التاسع.

أقفيهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم. ورفضوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع آبائهم وشهاداته التى شهد بها عليهم، وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم. وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل. وعبّروا بنيهم وبناتهم فى النار وعرفوا عرافة وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر فى عينى الرب لإغاظته. فغضب الرب جدّا على إسرائيل ونحاهم من إمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده. ويهوذا أيضا لم يحفظوا وصايا الرب إلههم بل سلكوا فى فرائض إسرائيل التى عملوها. فرذل الرب كل نسل بنى إسرائيل وأذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه"، فهل بعد تحدى الرب وإغاظته وإعلان الكفر به وعبادة العجل والأصنام وجند السماء وغير ذلك من دونه، من ذنب؟!.

وعلى لسان موسى كليم الله ورد فى سفر التثنية ٩: ٢٣، ٢٤ "عصيتم قول الرب إلهكم ولم تصدقوه ولم تسمعوا لقوله. قد كنتم تعصون الرب منذ يوم عرفتكم"، وفى٣١: ٢٧-٣٠ يقول: "إنى أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة، هو ذا وأنا بعدُ حى معكم، اليوم قد صرتم تقاومون الرب، فكم بالحرى بعد موتي. اجمعوا إلىّ كل شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليكم



السماء والأرض .لأنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق ألذى أوصيتكم به، ويصيبكم الشر فى آخر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم. فنطق موسى فى مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى تمامه"، وأقام عليهم بذلك حجة الله.

وعلى لسان عيسى روح الله جاء فى إنجيل متى ٢٣: ٣١-٣٣ "أنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء . فاملئوا أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم".

وما بين هذين النبيين من أولى العزم، من زمن امتد بهم عشرات القرون، وضم خلاله مئات بل آلاف الأنبياء، **﴿كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقًا كذبوا وفريقًا يقتلون﴾** (المائدة : ٧٠).

ونذكر مما ورد على لسان بعض أولئك الأنبياء وفى أسفارهم، ما جاء فى سفر الملوك الأول ١٩: ٩-١٠من قول الرب لإيليا (إلياس عليه السلام):

"ما لك هاهنا يا إيليا. فقال: قد غِرْتُ غيرة للرب إله الجنود، لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف، فبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها".. وسفر إشعياء وعلى لسانه ٢٨: ١٤-١٥ فى عبارات تحمل البشارة بمقدم

النبى محمد صلى الله عليه وسلم منقذ البشرية من شرورهم: "اسمعوا كلام الرب يا رجال الهُزْأ ولاةَ هذا الشعب الذى فى أورشليم. لأنكم قلتم قد عقدنا عهدًا مع الموت وصنعنا ميثاقًا مع الهاوية، السوط الجارف إذا عبر لا يأتينا لأننا جعلنا الكذب ملجأنا وبالغش استترنا".. وسفر إرميا ٢: ٤-٥-٧-٩-١٠ وعلى لسانه فى عبارات تحمل أيضًا الإشارة والبشارة بمقدم رسول الرحمة وخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه ونبى من هم أهل لحمل رسالة الله وتنفيذ أوامره ووصاياه:

"اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب وكل عشائر بيت إسرائيل.. ماذا وَجد فى آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عنى وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا.. وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها فأتيتم ونجستم أرضى وجعلتم ميراثى رجسًا.. لذلك أخاصمكم بعدُ يقول الرب، وبنى بنيكم أُخاصم. فاعبروا جزائر كِتّيِّم وانظروا وأرسلوا إلى قيدار"، يعنى جد النبى محمد من جهة إسماعيل، كناية عن إرساله ﷺ وتحول النبوة إليه بدل بنى إسرائيل، و(كِتِّيم): اسم بئر زمزم، سميت بذلك لأنها لما اندفنت بعد جرهم، صارت مكتومة حتى أظهرها عبد المطلب، وفى حديث زمزم: (إن عبد المطلب رأى فى المنام قيل: احفر كَتِيِّم بين الفرث والدم)[1].

(١) لسان العرب: مادة (كتم) ص ٣٨٢٤من المجلد الخامس ط دار المعارف.



وفى إرميا ٥: ١٩- ٢١-٢٢-٢٣-٢٥: " تقولون لماذا صنع الرب إلهنا بنا كل هذه، نقول لهم كما أنكم تركتمونى وعبدتم آلهة غريبة فى أرضكم، هكذا تعبدون الغرباء فى أرض ليست لكم.. اسمع هذا أيها الشعب الجاهل والعديم الفهم الذين لهم أعين ولا يبصرون، لهم آذان ولا يسمعون. أأياى لا تخشون.. وصار لهذا الشعب قلب عاص ومتمرد، عصوا ومضوا.. آثامكم عكست هذه وخطاياكم منعت الخير عنكم".. وفى ١٩: ٥-٦- ٧-١١-١٥ منه:

"وبنوا مرتفعات للبعل ليحرقوا أبنائهم بالنار - يعنى جهنم لأنهم تسببوا لهم فى ذلك - محرقات للبعل الذى لم أوصِ ولا تكلمت به ولا صعد على قلبي. لذلك هيا أيام تأتي.. أنقض مشورة يهوذا وأورشليم فى هذا الموضع وأجعلهم يسقطون بالسيف أمام أعدائهم وبيد ظالمى نفوسهم وأجعل جثثهم أُكلا لطيور السماء ولوحوش الأرض.. هكذا أكسر هذا الشعب وهذه المدينة كما يُكسَر وعاء الفخارى بحيث لا يمكن جبره بعد، وفى توفة يدفنون حتى لا يكون موضع للدفن.. ها أنذا جالب على هذه المدينة وعلى كل قراها كل الشر الذى تكلمت به عليها لأنهم صلَّبوا رقابهم فلم يسمعوا لكلامى".

وفى سفر دانيال وعلى لسانه٩: ٤-٩، ١١ جاء قوله حكاية على لسان حال من أرسل إليهم من بنى إسرائيل: "صليتُ إلى الرب

إلهي، واعترفتُ وقلتُ: أيها الرب.. أخطأنا وأثمنـا وعملنـا الـشر وتمردنا وحدنا عن وصاياك وعن أحكامك. وما سمعنا مـن عبيـدك الأنبياء.. كل إسرائيل قد تعدى على شريعتك وحادوا لـئلا يـسمعوا صوتك، فسكبتَ علينا اللعنة والحلف المكتوب فى شريعة موسى عبد الله لأننا أخطأنا إليه".. وفى سفر هوشع وعلى لسانه أيضًا ٤: ١-٣: "اسمعوا قول الرب يا بنى إسرائيل، إن للرب محاكمـة مـع سـكان الأرض، لأنه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله فى الأرض. لعـنٌ وكذب وقتل وسرقة وفسق يعتقون، ودماء تلحق دماء. لذلك تنـوح الأرض ويَذبُل كل من سكن فيها مع حيوان البرية وطيور الـسماء، وأسماك البحر أيضًا تُنتزع".

وفى سفر عاموس٢: ٤: "رفضوا نـاموس الله ولـم يحفظـوا فرائضه وأضلتهم أكاذيبهم التى سار آباؤهم ورائها".

وفى سفر حبقوق ٢: ١٢ "ويل للبانى مدينة بالدماء وللمؤسـس قرية بالإثم".. وفى سفر صَفَنْيَا ٣: ١-٤ "ويـل للمتمـردة المنجـسة المدينة الجائرة. لم تسمع الصوت لم تقبل التأديب لم تتكل على الرب لم تتقرب إلى إلهها. رؤساؤها فى وسطها أسود زائرة قضاتها ذئـاب مساء لا يبقون شيئًا إلى الصباح.. كهنتها نجـسوا القـدس خـالفوا الشريعة".. وفى سفر زكريا: ٧: ٩-١٢، ١٤ "اقضوا قضاء الحـق واعملوا إحسانا ورحمة، كل إنسان مع أخيه. ولا تظلمـوا الأرملـة

ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير ولا يفكر أحد منكم شرًا على أخيه فى قلبكم. فأبوا أن يُصغُوا وأعطوا كتفًا معاندة وثقَّلوا آذانهم عن السمع. بل جعلوا قلبهم ماسًا لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذى أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين فجاء غضب عظيم من عند رب الجنود.. وأعصفهم إلى كل الأمم الذين لم يعرفوهم، فخربت الأرض ورائهم لا ذاهب ولا آئب فجعلوا الأرض البهجة خرابًا"..

وعلى غرار ذلك وردت آيات كثيرة توضح هى الأخرى نقض بنى إسرائيل للمواثيق والعهود، بل وتنص على كثير مما تضمنته تلك المواثيق من بنود كم كانت ستعود عليهم بالخير والنفع فى أمور دينهم ودنياهم وأخراهم لو أنهم أقاموا حكم الله فيها، لكن لتوليهم وعصيانهم عوقبوا من الله بما استحقوا، نذكر من ذلك قوله تعالى: **﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون* ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين* ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾** (البقرة: ٦٣- ٦٥)، وقوله: **﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم﴾** (البقرة: ٩٣)، وقوله: **﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا**

الباب سجدًا وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا* فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا* وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا* وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم..﴾ (النساء: ١٥٤- ١٥٧)، وقوله: **﴿ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبًا وقال الله إنى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضًا حسنًا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل* فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظًا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم..﴾** (المائدة:١٢-١٣)، والآيات فى ذلك فى القرآن وفى الأسفار أكثر من أن تعد، وحسبنا منها ما ذكرنا.

فماذا يُنتظر لقوم هذا حالهم مع جميع من أرسلوا إليهم؟!، وأنى لأناس لم يحققوا فى أنفسهم فعل الشرط، أن يتحقق لهم من قِبل الرب، جوابه وجزاؤه؟.



الحقيقة الثالثة

موعود الله لبنى إسرائيل كان موقوتًا بفترة زمنية محددة

وكما كان وعد الله لبنى إسرائيل مشروطًا بوصايا وبعهود لم يصونوها، ومنوطًا بتعاليم ومواثيق لم يراعوها.. فقد كان موقوتا كذلك بفترة زمنية محددة، ومرهونًا بانقضاء هذه الفترة التى شاء الله لها أن تختتم بنبى الله عيسى عليه السلام الذى تآمر بنو إسرائيل على قتله هو الآخر وصلبه – على نحو ما تآمروا على قتل غيره – لولا أن رفعه الله إليه وألقى شبهه على غيره.

لذا كان مجيء عيسى عليه السلام – بعد أن تناوب عليهم ومن بنى جلدتهم، لكن دون جدوى، عدد غير قليل من الأنبياء والمصلحين – كان مجيئُه محاولة أخيرة لإرجاعهم إلى سابق عهدهم حتى ينزعوا إلى صبغة الله، وإلى حكمه وشريعته، ولا يرغبوا عن ملة آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وتمهيدًا فى الوقت ذاته لمرحلة جديدة يتواصل عندها وحى السماء إلى الأرض، وتستمر بالتالى إلى الأبد.. الأمر الذى ينذر بخطورة ما وصل إليه القوم من ختم على القلوب من جراء غلقها أمام كل خير، ويؤذن بفقدان الأمل فى إرجاع

الأمر على يد هؤلاء مرة ثانية إلى ما كان عليه، ويعنى كذلك – وهـذا هو الأهم – أن انتهاء مدتهم التى قدرها الله لهم لوراثة الأرض والنبـوة له ما يبرره.

ويفسر لنا ذلك – أعنى فقدان الأمل فى إصلاح بن إسـرائيل – سر تركيز دعوة عيسى عليه السلام على التبشير بنبى آخر الزمـان، ففى إنجيل يوحنا ١٤: ١٥-١٨، ٢٥، ٢٩، ٣٠ وما بعـدها يقـول لحوارييه: "إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى.

وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفـه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم. لا أترككم يتـامى.. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المعزى الروح القدس[1] الذى سيرسـله

---

(١) هذا نص ما جاء فى الطبعات المترجمة من اليونانية، لكن اسم المبشر به فى طبعات ١٨٢١م، ١٨٢٣، ١٨٣١، ١٨٤٤، وترجمة الخورى يوسف عون جاء بلفظ (روح الحق) و(فارقليط)، أو(بارقليط) والأخيران على ما تقتضيه الترجمة الحرفية اليونانيـة يعنيـان: (أحمد).. كما تعنى كلمة (المعـزى): المعلـم، وهـى مترجمـة عـن اللفـظ اليونـانى (بيركلوطوس) أو (بريقليتوس) وليس (باراكلى طوس) بالألف، وثمة فرق، إذ الأولى وقد عربت بلفظ (فارقليط) تعنى كما قلنا: (أحمد)، وهو المطابق لما جاء فى قول الله سـبحانه عن عيسى: **﴿ومبشرًا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد﴾** (الصف:٦).. وقد ذكر الـشيخ عبد الله الترجمان – وكان مسيحيًا وأسلم سنة ٨٢٣ تقريبًا – فى كتابه (تحفة الأريب فـى الرد على أهل الصليب) أن هذا اللفظ كان سببًا فى إسلامه، فقد خدم عـشر سـنين عنـد قسيس يدعى (نقلاومرتيل)، وعندما سأله عن المقصود بهذا اللفظ قال له: نبى المسلمين، =



الآب باسمى فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم.. وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون. لا أتكلم أيضًا معكم كثيرًا لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شيء".

وفيه ١٥: ٢٦-٢٧: "متى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضًا لأنكم معى من الابتداء".. وفيه على لسان المسيح عليه السلام ١٦: ٥-٨، ١٢-١٤ "أما الآن فأنا ماض إلى الذى أرسلنى وليس أحد منكم يسألنى أين تمضي. لكن لأنى قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن انطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يوبخ العالم.. إن لى أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق

= ولما سأله ثانية: لم لا تسلم إذن؟ تعلل له بأعذار واهية، ساقها الترجمان فى كتابه المذكور.. وصدق الله القائل: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد فى السماء﴾** (الأنعام: ١٢٥).. وجمهورهم أنه المخلص، ولا غرو فـ (محمد) هو بالفعل مخلص الناس من الكفر إلى الإيمان ومخرجهم من الظلمات إلى النور، كما أنه المعلم لكل شيء، حتى قال يهودى لبعض الصحابة فيما أخرجه مسلم وغيره: "لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة"، فقال: "أجل، لقد نهانا أن يستقبل أحدنا القبلة ببول أو غائط". ناهيك عن إتيانه بجميع الأعمال الربانية والأخلاق المرضية، وتحصيله جميع مصالح الدين والدنيا والآخرة.

فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدنى لأنــه يأخــذ ممــا لــى ويخبركم"[1].

فقول عيسى عليه السلام: إن الآب "يعطـيكم معزيًـا آخـر"، لا يعنى إلا أن يكون ثانٍ لأول يكون قبله، ومعلوم أنه لم يكن معهــم فى حياة المسيح إلا هو، ولم يأت بعده سوى النبى محمد ﷺ، فتعــين أن يكون هو المراد بقول عيسى عليه السلام.. وقوله: "ليمكث معكــم إلى الأبد"، إنما يكون لما يدوم ويبقى معهم إلى آخر الدهر، وبداهــة أنه لم يُرِد بقاء ذاته، فعلم أنه أراد بقاء شرعه وأمره، وهذا يبــين أن المبشر به المشار إليه بقول عيسى: (معزيًا آخر)، صــاحب شــرع لا ينسخ، بل يبقى إلى الأبد بخلاف المتحدث بذلك وهو عيسى نفســه الذى أعلن عن انتهاء مهمته التى أوكلها إلى صاحب البشرى ﷺ، كما يبين قول عيسى عليه السلام: (معزيًا آخر)، أن هذا الآخر المزمــع مجيئه لم يكن معهم فى حياته عليه السلام وإنما يكــون بعــد ذهابــه وتوليه عنهم.

أما أنه "لا يتكلم من نفسه بل كل ما يــسمع يــتكلم بــه"، فهــو ما ترجم له وفسره ما جاء فى الكتاب العزيز: ﴿ **ومــا ينطــق عــن**

---

(١) ينظر شرح هذه البشارات (إظهار الحق) ٤/١١٨٥- ١٢١٣، و(محمد نبى الإسلام) ص ٣٦-٣٩، و(الجواب الفسيح) ٨١٦/٢.

الهوى* إن هو إلا وحى يوحى﴾ (النجم: ٣، ٤)، وذلك كله – بالطبع – مما لا ينطبق إلا على محمد عليه سلام الله، صــونًا لقــول المــسيح عيسى عليه السلام من الخلل أو الكذب، أو من ترك قومه (يتامى) – على حد قوله السالف الذكر – بغير نبى يتكفــل بــأمورهم، إذ هــو صلوات الله عليه، القائل عن نفسه فيمــا رواه أحمــد فــى مــسنده ٥: ٢٦٢: **(أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى أخى عيــسى)**، ومعلــوم بالضرورة أن دعوته تعم أمته على نحو ما تعم كل من آمن من أهل الكتاب بدعوته.

أما كون العالم "لا يستطيع أن يقبله لأنه لا يــراه ولا يعرفــه"، فلكونه عليه السلام "بعث بالتوحيد فى زمن غلب فيه الجهل وعبــادة الأوثان وبيوت النار والقول بالثالوث، وهو غاية المنافاة والبعد عمــا جاء به، ولذلك قال من بعث فيهم من أهل الشرك:﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب﴾** (ص: ٥)" كذا ذكره القرافى ص٢٠٣.

وقوله "لا أتكلم أيضًا معكم كثيرًا، لأن رئيس هذا العالم – وفى بعض النسخ (أركون العالم) – يأتى وليس له فى شيء"، إنمــا هــو بشارة تعنى ضمن ما تعني، أنه سيأتى بعد المسيح نبى آخر الزمــان – وليس إلا محمدًا صلى الله عليه وسلم – فتكون له الكلمة النافــذة، ويسود العالم باطنًا وظاهرًا ويطاع فى السر والعلانية فى محياه وبعد

مماته، في جميع الأعصار وأفضل الأقاليم شرقًا وغربًا، يُظهر توحيد الرسل قبله ويصدقهم فيما بعثوا به وله وينوّه بذكرهم وتعظيمهم.. وأنه سيثبت التوحيد في قلوب الناس جميعًا ويعلمهم كلمة التقوى وشهادة الحق وأن الأمر كله لله، وهو في معنى قوله تعالى في مخاطبة محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون**﴾ (آل عمران: ١٢٨)، وقوله: ﴿**قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي..**﴾ (الأنعام: ٥٠)، وهذا يعني ضمنًا تنزيه عيسى عليه السلام مما نسب إليه من ربوبية أو ألوهية.

أما توبيخه صلى الله عليه وسلم للعالم فمائل في توبيخ من ذكرنا لكونه جاء وقد وجد الجميع ضالين، وفي هذا غاية التعظيم والمدح له والتأكيد على اتباعه صلوات الله عليهم أجمعين.

ومصداق ذلك فيما جاء في كتب القوم ما ورد في سفر التكوين ٤٩: ١٠ "لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب"، أي يزول الملك من اليهود بأسرهم بعد فترة من الزمان وعلى وجه التحديد بعد تمام حكم موسى وعيسى – عليهما السلام – وإلى أن يتم ذلك فسيظل ملك اليهود في سلالة يهوذا أكبر أبناء سيدنا يعقوب عليه السلام، وسيكون آخر عهدهم بالمُلك والنبوة على يد (المشترع) إشارة إلى المسيح عيسى



– عليه السلام – فإذا جاء نبى الإسلام (شيلون) الذى استعلن – بالفعل – من جبال بنى هاشم التى كان يتحنث فيها ويتعبد، والمسماة والمعروفة بجبال فاران[1]، والذى اجتمعت إليه – حقًا – بعد انتظار، شعوب العالم، والذى خضعت له – صدقًا – عن طريق الفتوحات سائر الأمم.. يزول ملك بنى إسرائيل ويبطل العمل بالتوراة[2]..

وابتناء على كل ما سبق فإرسال محمد بن عبد الله عليه سلام الله، يُعد من دلائل صدق عيسى وموسى – عليهما السلام – ولو لم يظهر لبطلت نبوتهما بل ولبطلت نبوات الأنبياء، لتبشيرهم جميعا بنبوته عليه السلام، وذلك قوله تعالى: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾** (آل عمران: ٨١).

---

(١) أى (مكة) بالعبرانية كذا فى معجم البلدان للحموى ٦/ ٤٠٧، وتنظر البشارات التى جاءت بهذا الصدد فى إظهار الحق٤/ ١١٣٤، ١١٣٥، و(محمد نبى الإسلام) ص ٩، ٢٥.

(٢) ينظر هداية الحيارى ص ٩٧ وإظهار الحق ٤/ ١١٣٨، ١١٤٢ و(محمد نبى الإسلام) ص ٥ و(فى الدعوة الإسلامية بين غير المسلمين) ص١٢١، ١٢٢ وكلاهما للطهطاوي.

فظهور نبوته صلى الله عليه وسلم تصديقٌ لنبوآتهم وشهادة لها بالصدق، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى في قوله: ﴿ **بل جاء بالحق وصدّقَ المرسلين**﴾ (الصافات:٣٧)، فإن المرسلين بشروا به وأخبروا بمجيئه، فمجيئُه تصديق لهم إذ هو تأويل ما أخبروا به، كما أن تصديقه المرسلين شهادة منه بصدقهم وإيمان بهم، وعليه فصدقهم كان بمجيئه وبشهادته، ومثل هذا قول المسيح لبني إسرائيل:﴿ **إني رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾ (الصف: ٦).

وقد أدرك هذه الحقيقة كل من آمن من أحبار اليهود وقساوسة النصارى وغيرهم من دعاة الحق والخير والصلاح والإصلاح[1]، بل وشهد لهذه الحقيقة ذاتها كل من أقر بنبوته ممن لم يدركه، أو سمع به وكان مانعه من الإيمان به الحقد والبغي والحسد، أو خوف ضياع الملك والسيادة.

ونذكر من ذلك فيما يخص قضية انتقال موعود الله لبني إسماعيل، ما جاء عن يونس بن بكير عن سلمة بن يسوع عن جده

---

(١) فقد دخل في دينه من لا يحصى عددهم من أرباب القول والحكماء، ومن الفلاسفة والعلماء.. وينظر في ذلك كتاب (في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين) للمستشار محمد عزت الطهطاوي، وهو كتاب مهم في بابه وجدير بالقراءة، فقد حوى شهادة ما يربو على ١٢٥ممن أسلموا وأماط اللثام عن أسباب وملابسات وقصص إسلامهم.

قال: قال يونس، وكان نصرانيا فأسلم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل نجران:

(بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمد النبى رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران، إنى أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أما بعد:- فإنى أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب.. والسلام)، فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فظع به وذُعر ذُعرًا شديدًا، فبعث إلى رجل من أهل عمان يقال له شرحبيل بن وداعة، وكان من همدان، ولم يكن أحد يدعى إلى معضلة قبله، فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شرحبيل فقرأه، فقال الأسقف: ما رأيك يا أبا مريم؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم فى ذرية إسماعيل من النبوة[1].. إلى آخر ما جرى بينهما.

ونظيره ما جاء عن محمد بن سعد قال: أخبرنا على بن محمد عن أبى عبيدة بن عبد الله، وعبد الله بن محمد بن عمار بن ياسر وغيره عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: سكن يهودى

---

(١) يشير - ربما - إلى قول الله لإبراهيم: "وأما إسماعيل، فقد سمعت لك فيه. ها أنذا أباركه .. إلخ"، وما جاء من مثل ذلك فى حق هاجر عليها السلام وسيأتى تفصيله.

بمكة يبيع بها تجارات، فلما كانت ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش: هل كان فيكم من مولود هذه الليلة؟ قالوا: لا نعلمه، قال: انظروا يا معشر قريش وأحصوا ما أقول لكم، ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة أحمد، وبه شامة بين كتفيه فيها شعرات[1]، فتصدع القوم من مجالسهم وهم يعجبون من حديثه، فلما صاروا في منازلهم ذكروه لأهاليهم، فقيل لبعضهم: ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسماه محمدًا فأتوا اليهودي في منزله، فقالوا: علمنا أنه ولد فينا غلام، فقال: أبعد خبري أم قبله؟ فقالوا: قبله واسمه محمد، فقال فاذهبوا بنا إليه، فخرجوا حتى أتوا أمه فأخرجته إليهم فرأى الشامة في ظهره فغُشي على اليهودي، ثم أفاق، فقالوا: ما لك؟ ويلك! فقال: ذهبت النبوة من بني إسرائيل وخرج الكتاب من أيديهم، ففازت العرب بالنبوة، أفرحتم يا معشر قريش؟ أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق إلى المغرب"[2]، وهذا هو دأبهم مع الحق وأهله، يعرفون الحق ويكيدون لأهله بغيًا وحسدًا من عند أنفسهم وخوفًا على زوال رياستهم وأموالهم غير مكتفين بكفرهم به.

---

(١) إلى هذا الحد كانوا يعلمون بمقدم رسول آخر الزمان، بل ويعرفون الوقت الذي سيبعث فيه، والعلامات التي تميزه وتكون دليلًا على صدق رسالته.

(٢) والقصة أوردها بسنده الحسن، ابن حجر في كتابه فتح الباري ٦/٤٥٤باب علامات النبوة في الإسلام، وينظر في شأنها هداية الحيارى ص١٨٨، ١٨٩وكتاب (في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين) ص ١٠٠، ١٠١ و(علامات النبوة) لعبد الملك الكليب ص ١٦٠.



وهنا يستطرد السيد المسيح مصرحًا بذلك وكاشفًا عما يرمي إليه هذا المثل، وموجهًا الكلام إلى تلامذته الذين هم من بني إسرائيل، فيخبرهم بأن ملكوت الله المتمثل في إرث الأرض والنبوة سينزع من بني إسرائيل ليعطى لأمة إسماعيل لتعمل أثماره[1]، ولتصير رأس الزاوية من قِبَل الرب، وفي ذلك بيان شافٍ كافٍ لمن يستحق الوعد ويَخْلُف بني إسرائيل فيه من بعد انقضاء مدتهم في مكنون علم الله سبحانه.

فهل يعقل معشر يهود – وفي مقدمتهم أولئك الزاعمون ملكية بيت المقدس من الحاخامات ومن والاهم من المتعصبين والمتشنجين – هذا المثل المضروب لهم، فيكفوا عن المطالبة بما ليس لهم بموجب ما جاء في الكتاب المقدس وعلى ألسنة أنبيائهم؟ وهل حان الوقت لكي يعي أولئك المعتدون على الحرمات والمقدسات وأصحاب الأرض، ما جاء في كتبهم وما شهد به كبراؤهم وأحبارهم ممن زامنوا بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ورأوا فيه من العلامات ما جعلهم يقرون ويعترفون بحقيقة الأمر؟ أم أن ما فشل فيه الأسلاف الذين رفضوا الإذعان لأمر موسى بدخول الأرض المقدسة – التي

---

(١) ينظر (إظهار الحق) لرحمت الله الهندي ٤ / ١١٧٨- ١١٨١و(محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن) لمحمد عزت الطهطاوي ص ٣٢ وما بعدها.

هى فى الأصل أرض عربية – قائلين له: ﴿ **إنا لـن نـدخلها أبـدًا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقـاتلا إنـا هاهنـا قاعـدون**﴾ . (المائدة:٢٤)، يريد الخارجون على تعاليم الرب والمتمردون على أوامره من الأحفاد – عن طريق القتل والتشريد والمذابح الجماعيـة وسـفك الدماء وإهلاك الحرث والنسل – أن يحرزوا فى الوقت الضائع وبعد فوات الأوان، قصب السبق فى سلبه ونهبه؟.

على أن موعود الله لبنى إسرائيل، لم يكن مقصورًا على ذلـك الوعد الموقوت بامتلاك الأرض وتوريث النبوة، الذى كان لهم قبـل تحوله عنهم.. فقد وعدهم الله كذلك بمحبته إن هم آمنوا به وحفظـوا وصاياه، كما وعدهم إن هم فعلوا ذلك وآمنوا برسله وأقاموا الـصلاة وآتوا الزكاة، بالرزق الوفير وبتكفير السيئات وبدخول الجنة، سـواء كان ذلك قبل انتقال موعوده لهم بالأرض والنبوة وتحولـه عـنهم أم بعده، جاء ذلك على لسان كل من عاصرهم من الأنبياء، فمن غيـر ما ذكره موسى مما سقنا بعضه فى صورة الشرط والجـزاء، جـاء على لسان عيسى عليه السلام فى إنجيل يوحنـا ١٤: ١٥ "إن كنـتم تحبوننى فاحفظوا وصاياي".

وفى القرآن الكريم قوله جل ذكره: ﴿ **يا بنى إسرائيل اذكـروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم**﴾ (البقـرة:٤٠)، وقد نقل القرطبى عن الحسن وقتادة أن المراد بالعهد قوله: ﴿ **ولقـد**



أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبًا وقال الله إنـــى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكـــاة وآمنـــتم برســـلى وعزرتمـــوهم وأقرضتم الله قرضًا حسنًا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ...﴾ (المائدة:١٢)، ونظيره ما جاء فى قوله: **﴿ ولـــو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم* ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلـــوا مـــن فوقهم ومن تحت أرجلهم..﴾** (المائدة:٦٥، ٦٦).

وأهل العلم والتحقيق على أنه عام فى جميع أوامـــره ونواهيـــه ووصاياه، ويدخل فى ذلك – بالطبع – الإيمان بمحمد الذى ورد ذكره فى التوراة والإنجيل والذى لا يصلح لأحد إيمان بغير الإيمـــان بـــه ولا تكتب له نجاة سوى بالإيمان بما أنزل إليه من ربه.

وعليه فالذى كان من الواجب أن يكون محط اهتمام بنى إســـرائيل منذ بعثة النبى محمد صلى الله عليه وسلم وإلى يوم أن يـــرث الله ومـــن عليها، ولا سيما مدعى التدين منهم؛ ممن هـــم الآن علـــى قيـــد الحيـــاة ونخص بالذكر منهم حاخاماتهم ومن أطلقوا على أنفسهم أمناء الهيكـــل، هو إنفاذ ما تبقى من هذه العهود والوفاء بها، حتى ينالوا الحظـــوة عنـــد الله، بدلا من أن يخسروا بفعالهم وعنادهم وجحودهم واعتداءاتهم أجـــرى الدنيا والآخرة، بل ويستحقوا مع ذلك وعيده لهم فيهما.

الحقيقة الرابعة
تفضيل بنى إسرائيل كان استثناء
مرده التمسك بما أخذ الله عليهم من مواثيق

نفيد مما سبق أن النصوص الدالة فى آى الذكر الحكيم وقبلها نصوص الكتاب المقدس، على تكريم بنى إسرائيل وتفضيلهم على عالمى زمانهم وتحقيق موعود الله لهم وجعلهم أو بعضًا منهم أئمة يهتدى بهم.. إنما جئ بها فى معرض الامتنان على بنى إسرائيل إبان التزامهم بما كان يأمرهم به الرب سبحانه، وفى غير أوقات انحرافهم أو إقامتهم على المعصية أو إعلانهم الكفر والتأبى على أحكام الله وأوامر أنبيائه.

كما جيء بها كذلك فى معرض الحديث عن تميز الطائفة الظاهرة على الحق -والتى عادة ما تكون قليلة العدد- عن الكثرة المنحرفة، وذلك للإعلام - على ما يقتضيه الإنصاف والعدل الإلهى - أنه بقدر غلبة الحق وانحسار الباطل والتمسك بعهد الله وميثاقه والإذعان لأوامره وأحكامه والكف عن معاصيه، بقدر ما يكون التفضيل لمن تلبس بذلك ويكون التمكين.

ومن الآيات التى يتراءى فيها جانب الاصطفاء وإسباغ النعم فى ضوء ما ذكرنا، قول الله تعالى: ﴿ **يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى**



التى أنعمت عليك وأنى فضلتكم على العالمين﴾ (البقرة:٤٧)، وقوله: ﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ (البقرة:٥٧)، وقوله: ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا﴾ (النساء: ٥٤)، وقوله: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين﴾ (المائدة:٢٠)، وقوله: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ (السجدة:٢٤)، وقوله: ﴿ ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين﴾ (الجاثية:١٦).

ومن مظاهر تكريم الله لهم على ما ذكر المفسرون: أن ناداهم باسم أبيهم الذى هو منشأ فخارهم وأصل عزهم، وأن أكثر فيهم الأنبياء وجعلهم ملوكًا بأن هيأ لهم أسباب النعيم وأقدرهم على امتلاك الديار والنساء والخدم يستأذنونهم للدخول عليهم، وأعطاهم من الفضل والزيادة ما لم يعط غيرهم من شعوب الأرض حتى الأمم ذات الحضارات كالمصريين وسكان الأراضى المقدسة.. ومن مظاهره: أن جاوز بهم البحر وأخرجهم من مصر بعد أن أنقذهم من بطش فرعون وأشياعه العتاة الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، وما ذلك كله إلا لنفس الأسباب التى سبق ذكرها.. كما عمّهم سبحانه برحمته

عندما شكوا إلى موسى – على إثر نجاتهم من فرعون – ما أصابهم فى الصحراء من حر الشمس ومن قلة الطعام والشراب، إذ أرسل الله إليهم الغمام يظللهم، وأنزل عليهم المنّ الذى يشبه العسل فكانوا يمزجونه بالماء ويشربونه، وكانت السُّمانى تأتيهم فيأخذ كل واحد منهم ما يكفيه إلى الغد، وأوحى الله إلى نبيه موسى أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بقدر قبائلهم.

والغريب أنه مع كل هذه النعم التى تستوجب الشكر والامتثال، فقد قابلوها بالنكران واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير.. والغريب كذلك أنه على الرغم من كثرة ما اقترفوه بحق الله، فإنه سبحانه كان يفتح لهم فى كل مرة باب توبته ليعطيهم الفرصة تلو الفرصة.. الأمر الذى يؤكد أن حلم الله عليهم – إلى هذا الحد ومع كل ما يفعلونه – لم يكن دائمًا لرضاه عنهم أو تفضيلًا لهم أو تحقيقًا لموعوده لهم، وإنما كان لحكمٍ أخرى كأن يكون ذلك انتقامًا من فرعون وملأه على نحو ما أخبرت عنه التوراة السامرية بالإصحاح ٩ عدد ٥ ، ٦ من سفر التثنية .

وفيما يتعلق بتحقيق رغبتهم فى دخول الأرض المقدسة، فقد وعدهم سبحانه إن هم دخلوها سجدًا طالبين المغفرة، بأن يحط عنهم خطاياهم.. إلا أنهم ظلوا على ما هم عليه من بغى ولأي، ومن عدم مراعاة تعاليم الرب وأوامره، بل استهزءوا بها.. وبدل أن يدخلوا



باب بيت المقدس منحنين خاضعين دخلوه زاحفين، وبدل أن يقولوا (حطة) أى (حط عنا خطايانا)، قالوا: (حنطة)، فكان أن حجب الله عنهم تمكينه منه، وكان ما أخبر الله به فى قوله: ﴿ **وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدًا وادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين* فبدل الذين ظلموا منهم قولًا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون**﴾ (البقرة:٥٨، ٥٩)(١).

ومن عظيم رحمة الله بهم أن لم يأخذ جميعهم بجريرة من بدل منهم وحرف الكلم عن مواضعه، كما أنه تعالى لم يستأصل شأفتهم بعد أن امتنع منهم من امتنع عن دخول المدينة المقدسة وتقاعس منهم من تقاعس عن قتال الجبارين بها عندما أمرهم الله بذلك، بل وعقب قولهم لموسى بكل جرأة: ﴿ **إنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها فاذهب**

---

(١) يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية١/ ٩٨: "أمروا بدخول الأرض المقدسة التى هى ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل – يعنى بموجب موعود الله له ولأبيه إبراهيم – وقتال من فيها من العماليق الكفرة فنكلوا عن قتالهم، وضعفوا واستحسروا فرماهم الله بالتيه عقوبة لهم"، وقد نص على أن المراد بالقرية: بيت المقدس، السدى والربيع بن أنس وقتادة وأبو مسلم الأصفهانى وغيرهم، وحاصل القول إنهم أمروا أن يتواضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها، ولكن هيهات لشعب صلب الرقبة ولأناس جبلوا على المعصية أن يفعلوا ذلك أو شيئًا منه.

أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ (المائدة:٢٤) – على الرغم من أن الأمر بدخولها جاء بناءًا على رغبتهم – فكان الاكتفاء بعقوبة التيه بين مصر والشام أربعين سنة وعدم إهلاكهم وذرياتهم بالكلية، رحمة بمن لم يصدر عنه هذا القول واستبقاء لنسلهم الذى شاء سبحانه أن يكونوا بعدُ على بينة من الأمر.

وفى النظم الكريم من آيتى البقرة ما يؤذن ويومئ من طرف خفى إلى تمايز القلة المتمسكة بأوامر الرب ووصاياه عن أولئك الذين ظلموا أنفسهم وبدلوا **﴿قولًا غير الذى قيل لهم﴾**، فقد قرر أهل التأويل أنه لم يدخل الأرض المقدسة المعبر عنها فى الآية الكريمة بـ **(القرية)** من بعد موسى سوى قلة تمثلت – مع النواشئ من ذرياتهم – فى يوشع ورجلين أنعم الله عليهما بالإيمان به تعالى والخوف منه، وأن العقاب بالرجز لم يلحق سوى أولئك الذين قالوا: **﴿ إنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها﴾**، فهؤلاء هم الذين حَرَّم الله عليهم دخولها حتى أهلكهم بالطاعون الذى غدا بسبعين ألف منهم وقيل بأربعة وعشرين ألفًا فجعلهم أثرًا بعد عين.

وهنا نبصر من خلال شواهد القرآن الأخرى المتعلقة بهذه الواقعة وكذا شواهد السنة الصحيحة، عدل الله المطلق، حيث حَرَّم سبحانه دخول الأرض المقدسة على الذين نكصوا على أعقابهم على الرغم من أنهم كانوا فى صحبة موسى وهارون عليهما السلام.. فى



حين مكن ليوشع بن نون الذى قام بالأمر بعد كليم الله موسى عليه السلام فخرج ومعه من تبقى من بنى إسرائيل ممن تشجعوا لدخولها ولم يتفوهوا بما فاه به سابقوهم، فقصد بهم بيت المقدس، بل وأحدث الله له ولهم من الكرامات ما أعانهم على دخولها فى الموعد الذى أرادوه.

الأمر الذى يؤكد على أن الله حين اختبرهم أيام موسى عليه السلام وأمرهم بقتال العمالقة الجبارين ونكصوا عن ذلك، عاقبهم بحرمانهم من دخولها وحكم عليهم بالتيه أربعين سنة فى صحراء سيناء لا يخرجون منها ولا يهتدون لغيرها.. ولما انتهت مدة العقوبة وقاد يوشع من وليهم للقتال وتصبروا على تنفيذ أمر الله، امتن عليهم بما لم يمتن على من كانوا منهم أيام موسى وهارون عليهما السلام، بأن نصرهم على أولئك الجبارين وظلوا بهم حتى أخرجوهم من فلسطين، بل امتن عليهم بما أخبر عن عمومهم فى قوله: **﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾** (الأعراف: ١٣٧)، وقوله: **﴿ولقد بوأنا بنى إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات﴾** (يونس: ٩٣).

كما يؤكد على أن سنة الله فى التفضيل ثابتة لا تتغير ولا تتبدل لكونه سبحانه لا يفضل بعد الإعذار إلا الفئة المؤمنة الصابرة،

إذ حاشاه سبحانه أن يساوى بين من امتثل لأمره ومن عـــدل عنـــه، أو أن يحابى أحدًا على حساب أحد، وإنما يتأتى ذلك ممـــن اختلـــت عقولهم وموازين العدل عندهم من البشر.

وعليه فدعاوى السابقين من بنى إسرائيل أنهم أبناء الله وأحباؤه، واللاحقين منهم بأنهم شعب الله المختار على ما هـــم عليـــه هـــؤلاء وأولئك من كفر ومعصية، دعاوى زائفة ولا أساس لها فـــى ميـــزان العدل الإلهي، لذا يقول ســـبحانه فـــى دحـــضها: **﴿وقالـــت اليهـــود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بـــل أنـــتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾** (المائدة : ١٨).

ومصداق ذلك فيما يدينون به ما جاء فى سفر التثنية ٧: ٦، ٩-١١ "لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهـــك لتكون له شعبًا أخص من جميع الشعوب الذين على وجـــه الأرض.. فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهـــد والإحـــسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيـــل. والمجـــازى الـــذين يبغضونه بوجوههم ليهلكهم، ولا يمهل من يبغضه، بوجهه يجازيـــه. فاحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التى أنا أوصيك اليوم لتعملها"[١].

---

(١) ونظير ذلك، ما جاء فى نفـــس الـــسفر ٨: ١٧ - ٢٠ وفـــى ســـفر الملـــوك الأول ٩: ٣- ٩، وقد سبق ذكرهما وذكر ما جاء على شاكلتها إبان الحديث عن الحقيقة الأولى.



وعن مجازاته سبحانه لمن استنهضهم يوشع بن نون بما يستحقونه من موعوده، جاء في سفر يشوع ٢١: ٤٣-٤٥ "فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التى أقسم أن يعطيها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها. فأراحهم الرب حواليهم حسب كل ما أقسم لآبائهم، ولم يقف قدامهم رجل من جميع أعدائهم بل دفع الرب جميع أعدائهم بأيديهم. لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذى كلم به الرب بيت إسرائيل بل الكل صار، وإنما كان لهم ما أرادوا – فيما يشبه النحو على آبائهم باللائمة أن خالفوا ما أمر به موسى عليه السلام – لأن الذين كانوا مع يشوع "أجابوا يشوع قائلين، كل ما أمرتنا به نعمله وحيثما ترسلنا نذهب. حسب كل ما سمعنا لموسى نسمع لك، إنما الرب إلهك يكون معك كما كان مع موسى. كل إنسان يعصى قولك ولا يسمع كلامك فى كل ما تأمره به يقتل"، كذا هو نص يشوع ١: ١٦-١٨.

ويدل ما ذكرنا وكذا ما حدث إبان نشوة دخولهم إياها مع يوشع، على عدم ملكيتهم لأرض فلسطين، ذلك لأن وجودهم آنذاك – بل ومن قبل ذلك ومن بعده، وبموجب ما جاء فى الكتاب المقدس، وبموجب علم الله بحال تلك القلة التى خلَّفها غيرها ممن عصى أوامر

الله تعالى ولم يسمع كلامه ولم يحافظ على وصاياه - كان وجوذا طارئًا، كما كان تمكينهم كذلك تمكينًا عارضًا.

فمما يذكره التاريخ ويُعد من الأمور الثابتة وتشهد له توراتهم: أن يعقوب حين ارتحل بذريته إلى مصر ومات بها وعمره(١٤٧) سنة - على ما جاء فى سفر التكوين ٤٧:٢٨، ٢٣: ٣- ٦، ٣٧: ١، ٤٦: ١- ٧ - لم يكن يملك لا هو ولا آباؤه إبراهيم وإسحاق، ولا بنوه - ٧٠نفسًا - من أرض فلسطين شبرًا ولا ذراعًا.. كما أن المدة التى عاشها بنو إسرائيل بمصر من بعد أن دعاهم إليها يوسف عليه السلام وحتى أخرجهم موسى (٤٣٠) سنة - على ما تنطق به توراتهم وتحديدًا فى سفر الخروج١٢: ٤٠ - لم يكونوا يملكون منها شيئًا.. ثم إنهم بعد نزوحهم من مصر وبعد أن نكلوا عن قتال العمالقة مع موسى عليه السلام، وشردهم الله فى التيه الذى مات فيه موسى وهارون وهما آسفان عليهم، لم يدخلوا المدينة المقدسة وخرج من بقى منهم مع يوشع بن نون ففتح الله عليهم بدخولها بعد أن هُزم أهلُها - على ما جاء فى سفر يشوع من الإصحاح ٦إلى الإصحاح ٢١ - ومات يشوع بعد أن قسم الأرض على أسباط بنى إسرائيل، وقد أوفوا وقتها بعهد الله فأوفى الله بعهده وحقق موعوده لهم "فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التى أقسم أن يعطيها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها. فأراحهم الرب حواليهم حسب ما أقسم لآبائهم ولم يقف قدامهم



رجل من جميع أعدائهم بل دفع الرب جميع أعدائهم بأيديهم. لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذى كلم به الرب بيت إسرائيل بل الكل صار" يشوع ٢١: ٤٣- ٤٥.

ومع كل هذا لم يقم لهم فيها ملك ولا دولة، وسر ذلك ببساطة شديدة أنهم سرعان ما عادوا لما نهوا عنه، ففعلوا الشر فى عينى الرب وأغاظوه "وتركوا الرب إله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها. تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروث. فحمى غضب الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدى ناهبين نهبوهم، وباعهم بيد أعدائهم حولهم، ولم يقدروا بعدُ على الوقوف أمام أعدائهم.. وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم.. ولقضاتهم أيضا لم يسمعوا.."، كذا فى سفر القضاة ٢: ١٢- ١٤، ١٦، ١٧.. ثم جاء بعد حكم القضاة الذى استمر ٢٠٠سنة، حكم الملوك شاؤول (طالوت)، وداود وسليمان فحكموهم مع قلتهم ومع بقاء البلاد فى أيدى أصحابها من اليبوسيين والصدوقيين لمدة ١٠٠سنة من ١٠٣٣: ٩٣٣ ق.م تقريبا، وكانت هذه هى مدة دولتهم والفترة الذهبية لهم مع غربتهم، ودل على أنهم مع ذلك كانوا غرباء نصوص كتبهم التى ذكرنا طرفًا منها.

وبعد عهد سليمان الذى أتم بناء الهيكل – الذى لم يرد ذكره سوى فى التوراة – انقسمت مملكته سنة ٩٣٥ ق.م بين يهوذا – السبط الرابع ليعقوب والذى إليه ترجع نسبة اليهود – فى أورشليم (القدس)، وإسرائيل فى شكيم (نابلس) وكانت الحرب بينهما سجالا لم تتوقف حتى سنة ٥٨٦ ق.م إلى أن تمكن بختنصر ملك الكلدانيين فى بابل سنة ٥٩٧ ق.م من القضاء على مملكة يهوذا، وأسر معظم سكانها إلى بابل بالعراق، وأحرق التوراة وأخذ التابوت إلى بلاده – وهو صندوق كان به بقايا مما ترك آل موسى وآل هارون – ودمر مدينة القدس كلها وهيكلها، على ما جاء فى سفر الملوك الثانى ٢٤: ١٣، ٢٥ وما بعدها، وإرميا ٥٢ : ٣٠.. ومن قبل ذلك بقليل وتحديدًا فى سنة ٧٢٥ ق.م، أغار سرجون الثانى ملك آشور على المملكة الشمالية التى عاصمتها شكيم ودمرها ونقل جميع أهلها إلى شرق الفرات، وانتهى بذلك نهائيا الوجود اليهودى فى فلسطين، وبعد الغزو البابلى والأشورى لم يتمكن اليهود من استعادة كيانهم السياسى حتى سنة ١٦٧ ق.م، لأنه خلال تلك الفترة وتحديدًا فى سنة ٥٣٩ ق.م غزا الفرس فلسطين واحتلوها لقرابة قرنين من الزمان، وذلك بعد أن احتلوا بابل هى الأخرى وألحقوها بدولتهم.

وفى سنة ٣٣٢ ق.م –حيث بداية العصر اليونانى – غزاها (الإسكندر المقدوني) وألحقها بدولة الإغريق، ثم جاء البطالمة



والسلاجقة ٣٠١: ٦٣ ق.م فوضعوا أيديهم عليها وتناوبوا حكمها، وبقيت تابعة لعاصمتهم حتى غزاها الرومان واحتلوها وظلت تحت أيديهم مدة طويلة بعث الله إبّانها عيسى عليه السلام الذى كاد له اليهود وأوصلهم كيدهم إلى أن استعانوا سنة ٢٧م بملوك الرومان على قتله وأوحوا إليهم – بعد عودتهم من الأسر البابلى ومحاولة استغلال مركزهم الدينى الذى كان ممنوحًا لهم من قبل وتعاطف الحاكم الرومانى (هيرودس) معهم – أنه جاء ليفسد عليهم رعاياهم.. وفى سنة ٧٠م ثار اليهود على الرومان فبطش بهم القائد الرومانى (تيتوس) ونكل بهم وأحرق هيكلهم الذى كانوا قد أعادوا بناءه – إن صح ما قيل فى ذلك – إبان غزو الفرس لفلسطين بعد مهادنة من الملك (دارا)، كما أعادوا توسعته أثناء الغزو الرومانى على يد (هيردوس) الذى اعتنق اليهودية، ودمر (تيتوس) ومن بعده (إدريانوس) عام ١٣٥م المدينة بأكملها وأقاما مكانها مدينة جديدة على الطراز الرومانى أطلق الأخير عليها اسم (إيليا) وحرم على اليهود أن يقطنوها.

فهم ما كادوا ينفكون من الغزو البابلى الذى قضى على كيانهم السياسى حتى أثخنهم الغزو الرومانى الذى أباد خضراءهم ومزقهم وقضى على كيانهم الذاتي، وبعد عيسى بثلاثمائة سنة استدار الزمان واندثرت معالم الديانة اليهودية فى البلاد المقدسة وغيرها ودخل

قسطنطين أحد ملوك اليونان فى دين النصرانية وانتشرت بسببه تلك الملة حتى استحوذ النصارى على مملكة الشام والجزيرة وبلاد الروم، وبنى هذا الملك مدينة القسطنطينية وبيت لحم وعدد غير قليل من الكنائس ببلاد بيت المقدس، ولم تزل أيديهم على هذه البلاد حتى انتزعها منهم الصحابة فى خلافة عمر سنة ٦٣٦م وأسلم جل أهلها، وظل اليهود إبان الفتح الإسلامى وبعده مشردين فى الأرض ومحرم عليهم أن يقيموا فيها بعد أن طردهم الرومان منها، حتى أن بطريرك القدس (صفرنيوس) اشترط على أمير المؤمنين عمر وهو يسلمه مفاتيح القدس ألا يسمح لليهود – نظرًا لماضيهم السيئ وواقعهم الأسوأ – بدخول إيلياء أو الإقامة فيها[1].

---

(١) وهكذا كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها وكلما عادوا إلى الفتنة والإفساد فى الأرض سلط الله عليهم من يدمرها عليهم، وأعاد إليهم وعيده الذى أخبر عنه فى قوله: **﴿ وإن عدتم عدنا﴾** (الإسراء:٨)، وكان آخر ما نزل بهم، فى حرب العاشر من رمضان سنة ١٤٩٣هـ الموافق للسادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م، فقد دكت فى أقل من ست ساعات حصونهم المنيعة ودمرت آلتهم العسكرية وتحطمت قواهم المعنوية وأنزل الله بهم على يد جنود مصر وسوريا الأوفياء، بأسه الشديد، وقبل ذلك حل بهم ما حل على يد أدولف هتلر؛ فبعد أن نزح يهود شرق أوروبا فى أواخر عام ١٩١٠م إلى النمسا، ومثلوا أكثر سكان عاصمتها (فيينا)، وحصلوا فيها على جل المراكز الجيدة فى قطاع المصارف والحياة المهنية والفنون والصحافة.. الأمر الذى ولّد لدى هتلر النمساوى المولد، والذى عجز عن الالتحاق بإحدى كليات الفنون الجميلة ببلاده، انطباعًا بالكراهية والعداء الشديدين.



الأمر الذى يعنى أن التاريخ نفسه بكل فصوله ومراحله – فضلا عن تراثهم الذى نفى حقهم الدينى فى أرض فلسطين على ما أفضنا – هو الذى يشهد بأن اليهود لم يكونوا أول من عاش على أرض فلسطين، وإنهم إنما وفدوا إليها فيما بعد، ثم انتهت صلتهم تمامًا بهذه الأرض منذ أن احتلها الرومان واعتنق سكانها الأصليون من العرب الكنعانيين الديانة المسيحية ولم يغير ذلك من طابعها العربى الذى ازداد تجذرًا بعد انتشار الإسلام فى المنطقة العربية كلها..

كما يعنى أن العرب حين استعادوا القدس إبان الفتح الإسلامى ودخلوا بلاد أجدادهم اليبوسيين، دخلوها وهى خالية من اليهود، وقد تم لهم ذلك دون إلحاق الضرر بأى شيء بها حرصًا على مركزها الدينى، وتدفقت عليها فيما بعد القبائل العربية، ومنذ ذلك التحول والانتقال ظلت فلسطين وستظل كما كانت من قبل، بلدًا عربيًا شعبًا ولغة وديانة مهما حاول الصهاينة ومن ورائهم من الصليبيين المخالفين لوصايا ولتعاليم الرب[١].

---

(١) ينظر لمزيد من التفصيل لتاريخ القدس وماضيه (القدس عربية إسلامية) د. فرج راشد ص٥٣- ١٥٧.

الحقيقة الخامسة
لا محاباة فى إمضاء سنة الله القاضية بأن عهد الله لا ينال الظالمين ولا ينالونه

واتِّباعًا لهذه السنة الماضية والقاضية بتفضيل الله وإنجائه للطائفة المؤمنة التى عادة ما تكون قليلة العدد والعدة.. واستكمالا للحديث عن الكثرة التى عادة ما يفشو فيها الفساد والإفساد على ما أفاده قول الله تعالى: ﴿**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**﴾ (يوسف:١٠٣)، وقوله: ﴿ **فأبى أكثر الناس إلا كفورًا**﴾ (الفرقان:٥٠)، وقوله: ﴿**ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين**﴾ (الصافات:٧١)، إلخ.. نقول:

إنه وعلى العكس مما جاء من تفضيل وتكريم بحق بنى إسرائيل على عالمى زمانهم، وهو ما جرى لهم حين تمسكوا بالكتاب ونفذوا فرائض الله وعملوا بوصايا أنبيائه، وحصل لهم – كما لاحظنا – على فترات قصيرة ومتقطعة، وتحقق لهم فى نهايته ما كانوا يحلمون به من دخول الأرض المقدسة.. فإن جرائمهم التى أفنوا لها جل حياتهم ولا يزالون، وارتكبوا فيها بحق الله ورسله – كمًّا وكيفًا – ما يفوق الوصف، جلبت عليهم مقت الله وسخطه، وحرمتهم من موعود الله ومن أن تظل أرض العسل واللبن خالدة لهم تالدة، وهذا أمر تم تقريره وهو لا يخفى على ذى لب.



ولطالما حكى القرآن عنهم، وقبله التوراة والإنجيل التى بأيديهم اعتداءاتهم على أنبياء الله المبلغين عن الله رسالاته والذين هم مصدر هداية لهم، ولو اقتصر أمر معشر بنى إسرائيل على مجرد التكذيب لهان الخطب، لكنه تعدى ذلك بكثير، فقد جاء فى الحديث عن أبى عبيدة قوله صلى الله عليه وسلم: **[قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعون نبيًا من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مئة وسبعون رجلا من بنى إسرائيل فأمروا مَن قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار من ذلك اليوم، فهم الذين ذكرهم الله عز وجل] – يعنى فى قوله: ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾** (آل عمران: ٢١)].

كما أورد ابن كثير فى تفسير قول الله تعالى: **﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾** (البقرة:٦١)، أثر ابن مسعود الذى يقول فيه: (كانت بنو إسرائيل تقتل ثلاثمائة نبى فى أول النهار – يا لقساوة القلوب – ثم يقيمون سوق بقْلهم فى آخره) وأعقبه بالقول: "إنه لما ارتكب بنو إسرائيل ما ارتكبوا من الكفر بآيات الله وقتلهم أنبياءه أحل الله بهم

بأسه الذى لا يرد وكساهم ذلا فى الدنيا موصولا بذل الآخرة جـزاء وفاقًا"[1].. وللمزيد من الوقوف على تحقيق هدفهم من التخلص مـن أنبيائهم الذى كانوا يسعون إليه بكل وسيلة، تنظـر الآيتـين ٨٧، ٩١ من سورة البقرة، والآيات ١١٢، ١٨١، ١٨٣ من سورة آل عمران، الآيتين ١٥٥، ١٥٧ من سورة النساء، والآية ٧٠ من سورة المائـدة، وينظر معها ما قاله أهل التفسير ليتبين لك كم كانوا حريصين علـى سفك هذه الدماء الزكية بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.

وحسبنا أن نستشهد هنا – من غير القرآن – على تلك المـذابح التى نصبوها لأنبيائهم بما ورد فى بعض نصوص كتابهم المقـدس، فقد جاء فى سفر نحميا ٩: ٢٦ "وقتلوا أنبياءك الذين أشهدوا علـيهم ليردُّهم إليك وعملوا إهانة عظيمة".. وما جاء فى سفر الملوك الأول ١٩: ١٠، ١٤ "وقتلوا أنبياءك".. وما جاء فى إنجيل متى ٢٣ وفيـه ٣١، ٣٤-٣٦: "أنتم تشهدون على أنفسكم أنكم قتلة الأنبياء.. ها أنـا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلـون وتـصلبون ومـنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة. لكى يأتى عليكم كل دم زكى سُفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريـا ابن بَرَخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح. الحق أقول لكم إن هـذا كله يأتى على هذا الجيل".

(١) تفسير ابن كثير ١/١٠٢ ، وينظر ١/ ٣٥٥.

الأمر الذى يعنى أن أمر اعتدائهم على الأنبياء لم يقتصر مجيئه على القرآن، بل تحدثت به أيضًا كتب القوم يهودًا كانوا أم نصارى.. وعليه فلا عجب حين تطال مؤامراتهم الدنيئة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك حين دبروا غير ما مؤامرة لقتله.

والذين لا يكفون عن استحلال قتل النساء والأطفال، ولا يكفون عن نشر الإلحاد فى العالمين، وهم الذين أوقدوا نيران الحروب التى وقعت فى أنحاء المعمورة، حتى صدق فيهم قول الله تعالى عنهم: ﴿**كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادًا**﴾ (المائدة: ٦٤).. والباحث عن الحقيقة يجد أنهم – وكما نطقت الآية ومع ضلالهم وكفرهم – وراء كل فساد وإفساد.. هم وراء فساد الإلحاد وفساد الأخلاق وفساد التنصير والتكفير وفساد العصبيات والأفكار الهدامة وفساد الصحافة والإعلام، ومن هنا جاءت الآية السابقة وما كان على شاكلتها تحذر من خطرهم وتنبه على أنهم أس البلاء على مدار التاريخ وفى الحاضر والماضى وفى بلاد الإسلام وغيرها.

وهذا ما يشهد به التاريخ وأثبتته الوقائع.. فـ (أبو عفك) اليهودي، وكذا أضرابه: (كعب بن الأشرف) و (ابن أبى حقيق) وغيرهم، كانوا من أوائل من ألبوا الأحقاد وقلّبوا الأمور فى الدولة

الإسلامية الناشئة فى المدينة، فجمعوا يهود المدينة وكفار قريش والقبائل الأخرى فى الجزيرة على محاربة المسلمين، ولطالما قالوا عن المشركين:﴿ **هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا**﴾ (النساء: ٥١).

كما أن اليهودى (مدحت باشا) كان وراء إثارة النعرات القومية واستخدام المخططات الماسونية فى دولة الخلافة العثمانية، الأمر الذى أدى فى النهاية إلى سقوطها على يد اليهودى الأصل (مصطفى كمال أتاتورك).. واليهودى (كارل ماركس) هو الذى كان وراء موجة الإلحاد التى سرعان ما أضحت قوة ودولة.. واليهودى (فرويد) كان وراء النزعة الحيوانية التى أصبحت فيما بعد منهجًا تتلوث به عقول الناشئة من مسلمين وغيرهم.. واليهودى (دور كايم) كان وراء الأفكار التى نتج عنها تفكيك الأسر وتخريب البيوت.. واليهودى (جان بول سارتر) كان وراء نزعة أدب الانحلال فى علاقات الأفراد والجماعات.. واليهودى (جولد تسيهر) كان وراء حركة الاستشراق التى استشرى فسادها وعم ظلمها.. واليهودى (صموئيل زويمر) هو الذى خطط لحركات التبشير والتكفير فى بلاد المسلمين لا لمجرد إدخال المسلمين فى النصرانية بل لإخراجهم من الإسلام وضرب الإسلام بالنصرانية والعكس.. واليهودى (ثيودر هرتزل) هو الذى وضع البذرة الأولى فى محنة العصر المسماة



بأزمة الشرق الأوسط لإقامة هذه الدولة التى ولدت بعد مماته سـفاحًا فكانت بؤرة للإفساد فى الأرض.

وإذا كانت هذه هى بعض جرائمهم بعد تحول موعود الله عنهم، فالسؤال: ماذا يفعل الله بقوم تركوا ملة آبائهم التى أمروا ألا يعيـشوا إلا فى كنفها وألا يموتوا إلا عليها، وبدلا مـن أن يقيمـوا التوحيـد ويؤمنوا بمن جاء به من أنبيائهم، راحوا يستبدلون الذى هـو أدنـى بالذى هو خير، وطفقوا يلتمسون الهدى فى عبادة العجل تارة وفـى العقائد الباطلة التى برأ الله منها ساحة خليله إبراهيم وبنيه من الأنبياء جميعًا، تارة أخرى، راغبين بذلك عن وصاياهم وضاربين بكلامهـم جميعًا عرض الحائط؟.

ويلاحظ فى آيات سورة البقرة التى سبق ذكرها فـى الحقيقـة الرابعة – تلك الآيات التى تناولت قصة دخـولهم الأرض المقدسـة وتحدثت عن تبديل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم – كيف أنها جاءت فى إطار الحديث عن مدى عفو الله وفضله، وعن حلمه سبحانه وصبره اللذين عادة ما كانا يقابلان بالمزيد من الإقامة علـى المعصية والاستهانة بأوامر الله وأحكامه، فقد جاءت الآيـات عقـب الحديث عن إنجائهم من آل فرعون الذين كـانوا يـذبحون أبنـائهم ويستحيون نسائهم ويسومونهم سـوء العـذاب، فراحـوا – بـدل أن

يشكروه - يتخذون العجل معبودًا لهم من دونه، وبعد اعتذارهم المشوب بالمكر وعدم الصدق فى التوبة، وبعد عفو الله عنهم، أذن سبحانه لخيارهم بالخروج مع موسى فراحوا بسفههم - وهم المختارون - يطلبون منه رؤية من لا تدركه الأبصار - سبحانه - وهو يدرك الأبصار، وبعد أن أخذتهم صاعقة الموت من جراء طلبهم ما يستحيل العقل إدراكه، بعثهم مرة أخرى لعلهم يشكرون، وظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، ورزقهم من الطيبات، وكانوا فى كل مرة كعادتهم يقابلون نعم الله بالجحود ويبدلون نعمة الله كفرًا، ثم كلفهم فيما بعد - ونزولا على رغبتهم - بدخول الأرض المقدسة، فراحوا يتلكأون ويسيئون الأدب مع الله.. إلى آخر ما تبع ذلك من ليهم ومكرهم الذى عادة ما كان يقابل بحلم الله عليهم وقبوله توبتهم، بل وأحيانًا بتفضيله لهم على سائر الخلق كلما بدت منهم سابقة خير وبادرة توبة.

وفى المزمور٧٨: ٤٠وما بعده: "كم عصوه فى البرية وأحزنوه فى القفر.. لم يذكروا يده يوم فداهم من العدو. حيث جعل فى مصر آياته وعجائبه فى بلاد صوعن. إذ حوّل خلجانهم إلى دم.. أرسل



عليهم بعوضًا فأكلهم وضفادع فأفسدتهم[1].. وهداهم – يعني بني إسرائيل – آمنين فلم يجزعوا.. وطرد الأمم من قدامهم.. فجربوا وعصوا الله العليّ، وشهادته لم يحفظوا. بل ارتدوا وغدروا مثل آبائهم، انحرفوا كقوس مخطئة. أغاظوه بمرتفعاتهم وأغاروه بتماثيلهم. سمع الله فغضب ورذل إسرائيل جدًا..".

وفي سفر حزقيال٢٠: ٥وما بعده يقول الرب ممتنًا على بني إسرائيل: "رفعتُ يدي لنسل بيت يعقوب وعرفتُهم نفسي في أرض مصر ورفعت لهم يدي.. لأخرجهم من أرض مصر إلى الأرض التي تجسّستُها لهم تفيض لبنًا وعسلا هي فخر كل الأراضي. وقلت لهم اطرحوا كل إنسان منكم أرجاس عينيه ولا تتنجسوا بأصنام مصر.. فتمردوا عليّ ولم يريدوا أن يسمعوا لي.. فقلت إني أسكب رجزي عليهم لأتم عليهم سخطي في وسط أرض مصر. لكن صنعت لأجل اسمي لكيلا يتنجس أمام عيون الأمم الذين هم في وسطهم.. فأخرجتهم من أرض مصر وأتيت بهم إلى البرية. وأعطيتهم

---

(١) الضمير إلى هنا لفرعون وملئه الذين تمردوا على موسى واتهموه بالسحر والإفساد في الأرض وتطيروا به كلما أصيبوا بجدب أو قحط وأبوا إلا الإقامة على الكفر بالله وعدم الإيمان بكليمه موسى عليه السلام: **﴿وقالوا مهما تأتنا بآية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين* فأرسلنا عليهم الجراد والقمّل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين﴾**.(الأعراف:١٣٢، ١٣٣).

فرائضي وعرفتهم أحكامي التي إن عملها إنسان يحيا بهـا.. فتمـرد عليّ بيت إسرائيل في البرية، لم يسلكوا فـي فرائـضي ورفـضوا أحكامي.. فقلت إني أسكب رجزي عليهم في البرية لإفنـائهم. لكـن صنعت لأجل اسمي لكيلا يتنجس أمام عيون الأمم.. ورفعت أيـضا يدي لهم في البرية بأني لا آتي بهم إلى الأرض التي أعطيتهم إياهـا تفيض لبنا وعسلا.. لأنهم رفضوا أحكامي ولم يسلكوا في فرائـضي بل نجسوا سبوتي لأن قلبهم ذهب وراء أصنامهم. لكن عيني أشـفقت عليهم عن إهلاكهم فلم أفنهم في البرية. وقلت لأبنائهم فـي البريـة لا تسلكوا في فرائض آبائكم ولا تحفظـوا أحكـامهم ولا تتنجـسوا بأصنامهم.. فتمرد الأبناء عليّ.. فقلت إني أسكب رجزي عليهم لأتم سخطي عليهم في البرية. ثم كففت يدي وصنعت لأجل اسمي لكـيلا يتنجس أمام عيون الأمم الذين أخرجتهم أمام عيونهم. ورفعت أيـضًا يدي لهم في البرية لأفرقهم في الأمم وأذريهم في الأراضي. لأنهم لم يصنعوا أحكامي بل رفضوا فرائضي ونجسوا سبوتي وكانت عيونهم وراء أصنام آبائهم"، وهكذا كان حالهم طوال تـاريخهم ومـع كافـة أنبيائهم وبشهادة جميع أسفارهم.

ويدعونا كل ما سبق ذكره إلى الانتهاء إلى أنه لا محابـاة فـي سنة الله القاضية بأن عهد الله لا يناله الظـالمين ولا ينالونـه، وأنـه وإزاء كفر اليهود ورغبتهم عن ملة آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب،



وتآمرهم وبغيهم على أنبياء الله ورسله، ولقاء ظلمهم وطغيانهم وتحريفهم للكلم عن مواضعه، الذى يؤذن بألا صلاح بعده – على المدى القريب أو البعيد – لأمرهم ولا فائدة ترجى للبشرية من ورائهم، كان لابد حسب ما تقضى به سنن الله الكونية فى الاستبدال والاستخلاف، من أن تتحول إمامة وخلافة وريادة هذا العالم إلى آخرين يحافظون على العهد ويصونون الأمانة ويحفظون الوصايا وينفّذون التعاليم، فيستحقون عندئذ وعد الله الذى لم يتحقق لغيرهم لا فى الأرض المقدسة وحسب بل فى إرث النبوة والأرض جميعًا، حيث يقول تعالى وهو أصدق القائلين:

﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ (الأعراف: ١٢٨)، ويقول: **﴿ وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾** (محمد:٣٨)، "أي: ولكن يكونون سامعين مطيعين له ولأوامره"[١] كما قال: **﴿ إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾**. (الأنعام:١٣٣)، وقال: **﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرًا﴾** (النساء:١٣٣).

(١) تفسير ابن كثير ١٨٢/٤.

ما يعنى أن سنة الله فى خلقه وكونه لا تتبدل ولا تتغير، بل إنها لتجرى حتى فى أمة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم ممن هم من نسل إسماعيل كما جرت فيمن هم من نسل إسرائيل، فالمسلمون من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم إذا تولوا عن نصرة ربهم وحادوا عن شريعة ربهم ولم يقفوا على أمر دينهم، فسيبتليهم الله بمن يستلب منهم بعض ما بأيديهم ممن لا يرقب فيهم إلا ولا ذمة، تمامًا كما ابتلى الأولون وكما نطقت بذلك الأحاديث، ثم يستبدلهم إذا لم يراجعوا أنفسهم: **﴿بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾** (المائدة:٥٤).

ولعل هذا ما يومئ إليه قوله تعالى لمن هو أب لجمهور الأمم: **﴿إنى جاعلك للناس** [كذا بما يفيد العموم] **إمامًا﴾**، ثم قوله تعقيبًا على سؤاله **﴿ومن ذريتى ﴾**: **﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾** (البقرة:١٢٤)، ولما اقتضت حكمة الله فيما يخص ميراث النبوة أن يجعل نبى بنى إسماعيل خاتمًا للأنبياء، فقد تعين أن يكون الابتلاء فى حرمان أمته إن هى خالفت منهج الله قاصرًا على ميراث الحكم والأرض والخلافة دون النبوة، إلى أن يقضى الله فيها أمرًا كان مفعولا.

وإنما خصت هذه الأمة بميراث النبوة وإن خالفت، لأنها لا ولن تعدم إلى يوم القيامة، علماء عاملين يرثون الأنبياء ويؤدون مهمتهم فى تبليغ رسالة السماء، ولأنه (لا يزال طائفة منها ظاهرة على الحق

حتى تقوم الساعة).. ولأن سنة الله قضت ضمن ما قضت أن الأمم فى أعمارها كالأفراد، لها آجال تنتهى عندها.. فعلى نحو ما هو حاصل للأفراد من أن لكلٍّ أجلا إذا جاء لا يؤخر عنه ولا يستقدم، فكذلك الحال بالنسبة للأمم، فإن ﴿.. **لكل أمة أجل**﴾ أى وقت معين مضروب لاستئصالهم، ﴿**فإذا جاء أجلهم**﴾ أى ميقاتهم المقدر لهم **لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ، فمجيئُه عبارة عن انقضائه.. فإذا تم وانقضى أجلهم وعمرهم لا يتقدمون عنه ولا يتأخرون، كذا أفاده ابن كثير والآلوسي[1] وغيرهما.

وفى آية الأعراف السالفة الذكر – ونحوها قوله تعالى: ﴿ **لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾ (يونس: ٤٩)، وقوله قبلها: ﴿**ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون** ﴾ (يونس: ٤٧) – ما يدل دلالة واضحة على أن ما قضاه الله من استبدال الصادقين بمن كذبوا، وهلاك أولئك المكذبين الجاحدين، إنما يتوقف على مجيء الرسول وتكذيب الأمة.

ويستلزم ما سبق ذكره القول بأن على معاصرى كل رسول أمة تالية، اتباع نهجه والسير على شريعته إن كان صاحب شريعة، باعتبار أن شريعته تلك ناسخة لما قبلها من شرائع الأمم المنقضى

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢١٦ ، وروح المعانى٨/ ١٦٧مجلد ٥، ١١/ ١٩٢ مجلد ٧.

أجلها.. وإذا سلمنا بذلك علمنا أن الأمة اليهودية ونحوها الأمة النصرانية مطالبتان باتّباع خاتم الأنبياء ورسول آخر الأمم محمد صلى الله عليه وسلم ، وسلوك نهجه واتباع شريعته وذلك - بالطبع - بعد الإيمان به على نحو الإيمان بغيره من الأنبياء، إذ لا يتحقق هذا إلا بذاك.. وإنما كان الأمر كذلك لأنه وبعد مبعثه أضحى رسول آخر الأمم صلوات الله وسلامه عليه، رسولا لسائر الأمم، وأضحى كتابها الذى تدعى إليه وتحاسب عنه يوم القيامة كتابهم، ولا يلزم كافة الأمم بعده غير ذلك من كتب الأمم المنقضى آجالها.

ولا أدل على هذا مما ورد فى مسند أحمد من أن عمر جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فعرض عليه جوامع من التوراة فتغير وجه النبي، فقال عمر: رضيت بالله ربّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولا، فسُرِّى عنه صلى الله عليه وسلم وقال: **[والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم]**، وفى بعض الأحاديث: **[لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي]**، "فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه - دائمًا إلى يوم الدين - هو الإمام الأعظم الذى لو وجد فى أى عصر، لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لمّا اجتمعوا ببيت المقدس"، كذا ذكره ابن كثير فى تفسيره ١: ٣٧٨.



الحقيقة السادسة
تقصية هاجر كان بمثابة التمهيد لإيجاد البديل المستحق لموعود الله

لقد أراد الله أزلا من تقصية هــاجر التـــى ورد ذكرهـــا ضـــمن نصوص العهد القديم والجديد، تحقيق وعد آخر لإبراهيم الخليل، ذلك أنه عليه السلام لما وضع زوجه هاجر وابنها منه – إسماعيل – بـــأمر الله فى جزيرة العرب توطئة لرفع قواعد البيت الحرام، وإيذانا بإعمار هـــذا المكان، وإعداده للطائفين والعاكفين والركع السجود، جأر إلى ربه ودعـــا ضمن ما دعا:﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولا مـــنهم يتلـــو علـــيهم آياتـــك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**﴾ (البقرة:١٢٩).

وقد وافقت هذه الدعوة التى أجيبت بعد حين، قضاء الله الأزلى فى بعث محمد عليه الصلاة والسلام رسولا فى الأميين، بـــل وإلـــى سائر الأعجميين من الإنس والجن، فكانت هذه الرسالة العامة وهـــذا التحول المشرف.. ليس إجابة لدعوة إبراهيم فحسب، ولا فقط إنفـــاذًا لبشارة عيسى وإعمالا للميثاق الذى قطعه الله عليـــه وعلـــى ســـائر

الأنبياء بأن ينصروه ويؤمنوا به ويأمروا بذلك أقوامهم[1].. بل إنقاذًا في المقام الأول للبشرية وللكون من الوهدة التي سقطا فيها، والذي سببه لهما إفساد بني إسرائيل في الأرض.

وفي شأن ذلك من نصوص التوراة الدالة على هذا التواصل الممتد في سلالة إسماعيل والممهد لإيجاد البديل المستحق لوعد الله، جاء في سفر ملاخي٤: ٥-٦: "ها أنذا أرسل إليكم إيلياء النبي قبل مجيء يوم الرب. اليوم العظيم والمخوف. فيرد قلب الآباء على الأبناء. وقلب الأبناء على الآباء لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن".

والمعنى واضح في أن المراد: أرسل إليكم قرب الساعة النبي محمد عليه السلام[2]، فيرد بني إسماعيل من العرب لحقيقة وحي

---

(١) على نحو ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ (آل عمران:٨١).

(٢) ذلك أن لفظ (إيلياء) بحساب الجمل المطابق للحروف الهجائية في اللغة العبرانية، يضارع لفظ (محمد) فكلاهما يساوي ما مجموعه ثلاثة وخمسين حرفًا ويؤكد ما جاء في التوراة هنا، ما جاء في إنجيل يوحنا الذي كان معاصرًا للمسيح وذلك حين أنكر أنه النبي المنتظر، فقد جاءه وفد من علماء بني إسرائيل، "يسألونه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، وأقر إني لست المسيح، فسألوه إذًا ماذا، أإيلياء أنت؟ فقال: لست إياه... يوحنا ١: ١٩-٢١"، فهذه شهادة يوحنا المعمدان وهو يحيى بن زكريا التي تفيد أن اليهود كانوا ينتظرون المسيح ونبي آخر يدعى إيلياء، وقد جاء المسيح ولم يبق إلا نبي آخر الزمان (إيلياء) الذي ينتظره الكل، "ويرد كل شيء" [متى ١٧: ١١]، والتي لا تنطبق أوصافه في التوراة والإنجيل إلا على محمد صلى الله عليه وسلم ، ويؤكد ما جاء فيهما قوله سبحانه في كتاب المسلمين: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون =



الأنبياء والمرسلين، ويرد قلوب اليهود والنصارى إلى دين آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى عليهم السلام، والعجيب أن تأتى هذه البشارة فى آخر ما فى كتب العهد القديم، وكأنها كلمة الله ووصيته الأخيرة لبنى إسرائيل بل ولغيرهم من أهل الكتاب، وصدق الله القائل حكاية عمن غيروا وبدلوا وحادوا عن الحق: **﴿وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين* قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾** (البقرة:١٣٥، ١٣٦)، والقائل فى خطابه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: **﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين﴾** (النحل:١٢٣)، ولأمته: **﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدًا عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾** (الحج:٧٨).

= على الذين كفروا ﴾ (البقرة:٨٩)، وقوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ (البقرة/١٤٦)، وقوله: ﴿الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل ﴾ (الأعراف:١٥٧).

وفى سفر إشعياء٤٢/ ١، ٢ ،١١-١٣: "هو ذا عبدى الذى أعضده، مختارى الذى سُرّت به نفسى وضعت روحى عليه فيُخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمَع فى الشارع صوته.. لترفع البرية ومدنها صوتَها الديارُ التى سكنها قيدار، لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الرب مجدًا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر. الرب كالجبار يخرج، كرجل حروب يُنهض غَيرته، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه".

وهذا واضح أيضًا فى الكلام عن نبى يظهر فى بلاد العرب ويكون من سلالة قيدار أحد أبناء إسماعيل، وهذا النبى قد اختاره الرب ليعلى مجد الإسلام ويعلن الحرب على أعدائه، ويجدد دعوة أبيه إبراهيم فى الناس بالحج والدعاء على رؤوس الجبال فى عرفات والمزدلفة ومنى بمكة محل مساكن قيدار، ومعلوم أنه لم يكن عند الإسرائيليين حج كما لم يكن عند المسيحيين حتى يقال: إن المراد بهذا النص وما جاء على شاكلته غير المسلمين من ذرية إسماعيل.. وقد سبق أن ذكرنا من نصوص العهد الجديد فى هذا الصدد – على سبيل الاستشهاد – ما به تقام الحجة.. وإلا فبشارات التوراة والإنجيل بصفاته وبمقدمه عليه الصلاة والسلام أكثر من أن تحصى.

ونرمق تأييد القران لما ألمحت إليه الكتب السابقة فى مثل قوله تعالى على لسان إبراهيم حين أودع زوجه وولده إسماعيل بواد غير



ذى زرع **﴿رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾** (البقرة: ١٢٦)، **﴿ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾** (إبراهيم:٣٧)، ناهيك عن دعائه الصريح بأن يبعث فى ذرية من أودعه عند بيته المحرم من به – على أساس من منهج الله – يستمر صلاح الكون، وتستقيم حركة الحياة والأحياء، ويتحقق موعود الله له بوراثة الأرض وإمامة من عليها.

وإذا كان القرآن قد قص لنا من دعاء إبراهيم إبان إيداعه زوجه هاجر وابنها منه عند البيت الحرام، ما يومئ إلى نقل موعود الله إلى بنى إسماعيل.. فقد جاء فى أسفار اليهود ما يفيد ذلك أيضًا ويومئ إليه، ففى سفر التكوين ٢٢: ١٦– ١٨رغم ما انتابه من تحريف[1]:

---

(١) فقد تم – على يد كتيبة العهد القديم – إخفاء وطمس تفاصيل ما جرى مع نبى الله إسماعيل و"من يراجع التوراة التى بين الأيدى والتى كتبها (عزرا) فى منفى بابل، يجدها قد حرفت حقائق التاريخ وأنكرت حق آل إبراهيم فى الوعد الإلهى وقصرته على بنى إسرائيل، وتجاهلت رحلة إبراهيم وإسماعيل إلى الحجاز وبناء الكعبة، صمتت التوراة – على حد قول أ. الجندى فى موسوعته ١٠/ ٦٧٥– صمتًا شديدًا عن كل ما يتصل بعلاقة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بالجزيرة العربية ومكة وبناء الكعبة، والهدف هو إخراج أبناء إسماعيل من حقوق الوعد الذى تلقاه إبراهيم عن ربه وجعله فى الصالحين من ذريته" على النحو الذى سجله القرآن.

أنه لما هم إبراهيم بذبح خصيصه وابنه الوحيد، ســر الله مــن قــوة إيمانه وأرسل إليه ملاكًا ناداه ثانية بقوله: "بــذاتي أقــسمت، يقــول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنــك وحيــدك. أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرًا كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه . ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي"، وقبلها ٢٢: ١١- ١٣جــاء مــا نصه: "فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم فقال: هاأنذا. فقال لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئًا لأنى الآن علمتُ أنك خــائفٌ الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني. فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكًا فى الغابة بقرنيه، فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصــعده مُحرقةً عوضًا عن ابنه".

ويدرك أى منصف أن الذبيح هنا هو إسماعيل، إذ لا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاد إبراهيم وأنــه الــذى ظل وحيد أبيه قرابة أربع عشرة سنة كما جاء التصريح بــذلك فــى سفر التكوين ١٦: ١، ٢، ٤، ١٥، ١٦ ونصه: "وأما ساراى امــرأة أبرام فلم تلد له وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر. فقالت ساراى لأبرام هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة أدخل على جاريتى لعلــى أرزق منها بنين فسمع إبرام لقول ساراي.. فدخل على هاجر فحبلت ولما رأت أنها حبلت صغُرتْ مولاتها فى عينيها.. فولــدت هــاجر



لأبرام ابنًا ودعا أبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر، إسماعيل. كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام"..

قال الله لإبراهيم ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى بل اسمها سارة. وأباركها وأعطيك أيضًا منها ابنًا، أباركها فتكون أممًا وملوك شعوب منها يكونون. فسقط إبراهيم على وجهه وضحك وقال فى قلبه هل يولد لابن مائة سنة وهل تلد سارة وهى بنت تسعين سنة"تكوين١٧: ١٥-١٧.

ولا معنى لهذا – بضميمة ما سبق – إلا أن يكون الوحيد لأبيه وأن يظل كذلك لما يقرب من أربعة عشر عامًا، هو إسماعيل.. فكيف يكون إسحاق وحيد إبراهيم وبكره؟، ومن يكون الذبيح إذًا؟.. كما لا معنى له إلا أن يحكم على من ادعى من كتبة العهد القديم بـ "أن الله امتحن إبراهيم.. فقال: خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق، واذهب إلى أرض المُريّا.. فلما أتيا إلى الموضع الذى قال له الله، بنى هناك إبراهيم المذبح ورتّب الحطب وربط إسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب. ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه. فناداه ملاك الرب من السماء.. فقال لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئًا لأنى الآن علمت أنك خائفٌ الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى" تكوين ٢٢: ١-٢، ٩-١٢.. بل وعلى من ادعى من كتبة العهد الجديد

متسائلا : "ألم يتبرر – يعنى يصبح بارًا ومطيعًا لأمر ربـــه – إبـــراهيم بالأعمال إذ قدَّم إسحاق ابنه على المذبح؟" رسالة يعقوب٢: ٢١.. بواحد من اثنين:

إما أنه يستخف بعقول قراء العهدين القديم والجديد، وإمـــا أنـــه يهرف بما لا يعرف، لأن من كان وحيد إبراهيم ساعة إقدامه علـــى ذبح ولده وبنص التوراة هو إسماعيل لا إسحاق[1] الذى ما ذهب إلى أرض الحجاز[2] قط، وبالتالى يكون من جاء فى التـــوراة مـــن قـــول الرب: "إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنـــك وحيـــدك. أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرًا كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطئ البحر ويرث نسلك باب أعدائه"، تكوين٢٢: ١٦–١٧هو مـــن نصيب ولد إسماعيل بعد تحول موعـــود الله إلـــيهم، بقرينـــة لفظـــة

(١) إذ كيف يسوغ أن تبشر أمه قبل ولادته به وبمن وراءه على ما أفاده قوله تعالى: **﴿وامرأتـــه قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾** (هود:٧١)، يعنى بولده، ثم يـــأمر الله بذبحه؟ وكيف يسوغ لإبراهيم أن يؤمر من قبل الرب بإبعاد هاجر وابنهـــا إســـماعيل، وأن يودعهما فى الأرض الموحشة رحمة بسارة بعد أن اشتدت غيرتها ثم يؤمر بذبح ابنها ويدع ابن الجارية بحاله، والحق أن دعوى أن يكون الذبيح (إسحاق) لا تقوم على ساق – علـــى حـــد مـــا ذكر ابن القيم – ومن ثم ساغ له أن يرد على ما جاء فى هذه الدعوى من أكثر مـــن عـــشرين وجهًا.. ينظر فى تفصيل ذلك زاد المعاد ١/١٥ وما بعدها.

(٢) ومسماها فى الكتاب المقدس: جبال أو برية فاران: حبقوق ٣/ ٣، جزائر كِتيِّم: إرميا ٢/ ١٠.



"وحيدك" التى تكررت مرارًا وبدليل ما يومئ إلى هذا التحول من قول الرب: "ويرث نسلك باب أعدائه"، إذ لا معنى له إلا أخذ ميراث الحكم والنبوة ممن لم يحافظوا عليهما من ولد إسرائيل ممن عادوا الله ورسله وإعطائه لأهله ممن حفظوا وصايا الرب وشرائعه من ولد إسماعيل.. وتلك والله عاجل بشرانا لتحرير هذه البلاد من رجسهم.

لكن معشر يهود مع اعترافهم بهذا وزعمهم الإيمان بما أنزل عليهم وتمحكهم فى تسمية دولتهم باسم نبى الله يعقوب، يجادلون ويتجاهلون هذه الحقائق، ويحسدون أبناء عمومتهم على ما حباهم الله به من شرف، ويأبى الله إلا أن يرجع الفضل فى ذلك لأهله، وهذا كتاب ربنا ينطق عليهم بالحق حيث يقول رب العزة فى فضح تجاهلهم وتعاميهم عن الحق: ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**﴾ (البقرة: ١٤٦)، ويقول: ﴿**الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل**﴾ (الأعراف:١٥٧).. قال الحسن البصرى فيما رواه ابن كثير ١/١٨٨: "كانوا يقرأون فى كتاب الله الذى آتاهم: أن الدين عند الله الإسلام وأن محمدًا رسول الله، وأن إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية، فشهدوا لله بذلك وأقروا على أنفسهم

لله، فكتموا شهادة الله عندهم"[1].. وارتكبوا بصنيعهم هذا، الخيانة التى تستوجب استبدال غيرهم بهم، وأقيمت عليهم وبنص كتبهم الحجة.

لقد وصل علم معشر يهود بمقدم نبى بنى إسماعيل ومعرفة أوصافه لحد أن كانوا يتوعدون الأوس والخزرج بقرب قدومه ويقولون لهم: سنتبعه ونقاتلكم به قتل عاد وإرم، ويستفتحون به **﴿على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾** (البقرة: ٨٩)، ولحد أن "قال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته"[2].

وكان مما قاله الحبر اليهودى عبد الله بن سلام فى قصة إسلامه وكشف خباياهم: "لما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لى عمتى حين سمعت تكبيري: خيبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادمًا ما زدت.. قلت لها: أى عمة والله

---

(١) وفى معنى ما ذكر يقول القرطبى فى تفسيره ٩/٦٢١٣ لقول الله تعالى: **﴿ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين* وآتيناهم بينات من الأمر﴾**: يعنى أمر النبى صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته بأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب وينصره أهل يثرب **﴿فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم﴾** (الجاثية: ١٦، ١٧).

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٤٠، وينظر ١٣٦، ١٥٢، وينظر تفسير القاسمي٢/ ١٨٨.



أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بعث بما بعث به، فقالت: أى ابن أخي، أهو النبى الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟، فقلت لها: نعم، فقالت: فذاك إذًا، قال: ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتى فأمرتهم فأسلموا". كذا هو فى سيرة ابن هشام٢/ ١١٨.. ولما قيل له: "أتعرف محمدًا كما تعرف ولدك؟ قال: نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين فى الأرض بنعته فعرفته، وإنى لا أدرى ما كان من أمّه"(١).

ومما يذكر فى هذا الصدد أنه جلّت قدرته بكّت العرب الكافرين وأنكر عليهم عدم إيمانهم بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم مع وجود آية عظيمة تدل على صدق نبوته وثبوت رسالته، وكانت تلك الآية هى معرفة علماء بنى إسرائيل وشهادتهم له بأنه نبى من عند الله كما قال تعالى: ﴿ **أو لم يكن له آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل**﴾ (الشعراء: ١٩٧)، يقول الحافظ ابن كثير٣/ ٣٥٩: "والمراد العدول منهم الذين يعترفون بما فى أيديهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه وأمته كما أخبر بذلك من آمن منهم كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسى عمن أدركه منهم ومن شاكلتهم"أ.هـ

(١) ينظر تفسير ابن كثير ١/ ١٢٤، ١٩٤.. والأمّة: لغة فى الوالدة، وجمعها أمات وأمهات.

إنها القلوب المريضة القاسية، والعقول المارقة الشاردة، والنفوس الحاسدة الحاقدة التى طالما ابتغتها عوجًا والتمست الهدى فى غير طريق الله المستقيم بغيًا وعدوًا ومكابرة وعنادًا، ففيما رواه ابن إسحاق وابن هشام فى سيرته١/ ١٩٦من حديث سلمة بن سلامة بن وقش وأخرجه أحمد وصححه ابن حبان من طريقه، قال: "كان لنا جار من اليهود بالمدينة، فخرج علينا قبل البعثة بزمان فذكر الحشر والجنة والنار، فقلنا له: وما آية ذلك؟ قال: خروج نبى يبعث من هذه البلاد وأشار إلى مكة، فقالوا: متى يقع ذلك؟ قال: فرمى ببصره إلى السماء وأنا أصغر القوم، فقال: إن يستنفذ هذا الغلام عُمْرَه يدركه، قال سلمة: فوالله ما ذهبت الأيام والليالى حتى بعث الله نبيه وهو حى بين أظهرنا، فآمنا وكفر هو بغيًا وحسدًا".

والحق أن نفوس يهود المريضة طفحت بهذه العداوة حتى قبل مبعثه ﷺ، ويظهر ذلك فى قول بحيرى الراهب لعمه حين اصطحبه فى بعض قوافل الشام، وذلك بعد أن تفرس فى وجهه عليه السلام ورأى فيه شيئًا من علامات النبوة فأشار على عمه بقوله: "ارجع بابن أخيك إلى بلده واحترز عليه من يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغُنَّه شرًا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده"، وإنما حدا ببحيرى لأن يفعل ما فعل وينصح بما نصح به،

١



ما عرفه عن يهود من حقد وغدر وخوف من أن ينتقل موعــود الله ويتحول عنهم إليه وإلى أمته.

ويبقى بعد كل هذا وعلى الرغم منه، عتاب الله لهــم ودعوتــه إياهم على لسان ذاك الذى يجحدون فضله، وذلك فــى نحــو قولــه تعالى: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمــة ســواء بيننــا وبيــنكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا مــن دون الله﴾**، **﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبــراهيم ومــا أنزلــت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون﴾**، **﴿يا أهــل الكتــاب لــم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾** (آل عمران: ٦٤، ٦٥، ٧١) وقوله: **﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتــى تقيمــوا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾**، **﴿قل يــا أهــل الكتــاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل﴾** (المائدة: ٦٨، ٧٧).

الحقيقة السابعة
الإيذان بتحول الإمامة كان فى ليلة التتويج
(ليلة الإسراء)

وعلى نحو ما كانت إمامة النبى ليلة الإسراء بإخوانه من الأنبياء عن طواعية وطيب نفس، تأكيدًا على وحدة الدين وإشارة واضحة إلى أن النبوات يُصَدِّق بعضها بعضا ويمهد السابق منها للاحق، ودليلا على أن المسلمين هم أولى الناس بميراث الأنبياء والمرسلين كما قال ﷺ: **[نحن أولى بموسى منكم]**، وإقرارًا مبينًا بأن الإسلام كلمة الله الأولى والأخيرة إلى خلقه، أخذت كما هى على يد رسولنا ﷺ بعد أن وطأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين[1].. فقد كانت كذلك تتويجًا مشرفًا لهذا النبى الخاتم ولأمته وإنفاذًا مرتقبًا لسنن الله الكونية والشرعية فى الاستبدال والاستخلاف، وفى تحول الإمامة والقيادة والخلافة من بنى إسرائيل الذين رغبوا عن ملة إبراهيم فسفهت بذلك نفوسهم، إلى إخوتهم وبنى أعمامهم من بنى إسماعيل الذين رغبوا فيها.

ولأن الله خلق الخلق لعبادته وقد تخلى بنو إسرائيل – أعنى أحفادهم ممن هم من صلبه – عن تأدية هذه المهمة، وفعلوا ما

(١) ينظر فقه السيرة لمحمد الغزالى ص١٤٠، ١٤١.



استوجب استبدال غيرهم بهم، فإن الحكمة تقتضى وفق سنة الله التــى لا تتبدل ولا تتغير، أن يستعاض عنهم بآخرين، ولا بد أن يكونوا هنا من أبناء العم لكونهم ممن قال إبراهيم: **﴿ومن ذريتي؟﴾**، وأن يــأتى من صلب إسماعيل الذى هو من نسل إبراهيم أيضًا، من يجدد هــذه الملة ويرسخ معالمها ويقيم عوجها ويرسى دعائمها ويرفــع بنيانهــا ويعيد أمجادها ويعلى من قدرها، وهذا ما حدث بالفعل ليلة الإســراء التى انتقل فيها إرث الملك والنبوة إلى محمد ﷺ والمؤمنين بــه مــن أمته بعد فترة تمهيد استمرت ما يزيد عن العشر سنوات مــن يــوم مولده ﷺ، وما يزيد عن الستمائة عام من بعد رفــع عيــسى آخــر أنبيائهم إلى السماء وإنجاء الله له من محاولة البطش به.

الأمر الذى يعنى ضمنًا أن هذه الأمة هى وحدها المؤهلة لوراثة أرض النبوات أرض الميعاد – بيــت المقــدس وســائر الأراضــى الفلسطينية – وليس هذا فى شريعة المسلمين فحسب بل وفــى كتــب اليهود والنصارى أيضًا، فقد ورد فى سفر حجي٢: ٦-٩ "قــال رب الجنود: هى مرة بعد قليــل فــأزلزل الــسماوات والأرض والبحــر واليابسة. وأزلزل كل الأمم ويأتى مشتهى كل الأمم فأملأ هذا البيــت مجدًا.. مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول، قــال رب الجنود، وفى هذا المكان أعطى السلام" انتهى النص، ومــشتهى كــل

الأمم المذكور فيه، أصله العبرانى (حمدون) أى محمود الأمم، وهـذا بصريح نبوة حجى ينطبق على سيدنا محمد ﷺ لكون اسم (محمـود) هو من ضمن أسمائه، ويتضح من النبوءة أن المراد من البيت بيـت المقدس.

وحين أسرى إلى هذا البيت برسولنا ﷺ فى حياته، زاد ذلك من شرفه ورَفع من مكانته، ومن ثمّ توجهـت إليـه أنظـاره وأنظـار الموحدين الذاكرين الممجدين لله من أمته فكان أولى قبلتى المسلمين، وهذا ما يوافق عبارة "أملأ هذا البيت مجدًا"، أما بعد وفاته ﷺ فقد قام المسلمون بفتحه[1] وفى هذا المكان أعطى رب الجنود السلام الـذى أتى به رسول الرحمة والسلام، ونشره الخليفة عمر بن الخطاب فـى ربوع هذه البلاد المقدسة، فقد أعطى رضوان الله عليه الأمان لبيـت المقدس ولبطريرك المدينة بل ولسائر أهلها بعقد المعاهـدة وتوثيـق شروط الصلح.. والملفت فى قوله: "فى هذا المكان أعطى الـسلام"، إنه لم يقل (وأعطى مشتهى الأمم السلام)، أو نحو ذلك من عبـارات تفيد أنه عليه السلام بنفسه الذى يتولى تسليم بيـت المقـدس ونـشر الإسلام فيه، لعلم الله أزلا أن الذى سيتولى هذه المهمة هو واحد مـن أخلص خلصائه، وقد كان ذلك – بالفعل – لأميـر المـؤمنين عمـر

---

(١) وذلك بعد أن مهد عليه السلام لهذا الأمر بغزو الروم.



بمحضر ومشهد من أصحاب مشتهى الأمم صلوات الله عليه وعلــى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا [1].

وتحكى كتب التاريخ أنه لما أذل الله الروم، وتكامل للمــسلمين فتوح الشام واستقر أمرهم على فتح بيت المقدس، وحاصر المسلمون أهله قرابة أربعة أشهر فى أشد قتال، نظر أهل بيت المقدس إلى شدة الحصار ورأوا ما حل بهم ووقفوا بين يدى البطريرك وقـالوا: قـد عظم الأمر ونريد منك أن تشرف على القـوم وتـسأل: مـا الـذى يريدون؟ فإن كان أمرًا صعبًا فتحنا الأبواب وخرجنا إليهم، فإمـا أن نقتل عن آخرنا، أو نهزمهم عنا، فأجابهم البطريرك إلى ذلك، وصعد فى السور واجتمع القسيسون والرهبان حوله ونادى رجل: يا معـشر الفرسان، عمدة دين النصرانية قد أقبل يخاطبكم فليدن منـا أميـركم، فقام أبو عبيدة يمشى ومعه جماعة من أصحاب رسول الله، فلما وقف بإزائهم قال: ما الذى تريدون؟ قال البطريرك: إنكم لو أقمـتم علينـا عشرين سنة لم تصلوا إلى فتح بلدنا، وإنما يفتحها رجل ليس معكـم، فقال أبو عبيدة: وما صفة من يفتح بلدكم؟ قال: لا نخبـركم بـصفته، ولكن قرأنا أن هذا البلد يفتحه صاحب لمحمـد يعـرف بالفـاروق، لا تأخذه فى الله لومة لائم، ولسنا نرى صفته فيكم.

---

(١) ينظر (محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن) للطهطاوى ص:٢٦.

فلما سمع أبو عبيدة كلام البطريرك تبسم وقال: فتحنا البلد ورب الكعبة، ثم أقبل على البطريرك وقال: "إن رأيت الرجل تعرفه، قال: نعم، وكيف لا أعرفه؟ قال أبو عبيدة: هو والله خليفتنا وصاحب نبينا، قال البطريرك: فإذا كان الأمر على ما ذكرت فاحقن الدماء وابعث إلى صاحبك، فإذا رأيناه وتبينا نعته فتحنا له البلد وأعطيناه الجزية، فلما بعث أبو عبيدة فى طلبه وأقدم عليهم عمر بمرقعته ونظر إليه البطريرك زعق وقال: هذا والله الذى صفته فى كتبنا وخرج ومن معه يسألونه العهد".

وكان مما فاه به البطريرك من قبل عندما أخبر بجيش المسلمين يقوده أبو عبيدة: ما هذه الضجة التى أسمع؟ قالوا: قد قدم أمير المسلمين ببقية المسلمين، فلما سمع ذلك تربّد وجهه وقال: إنا وجدنا فى علمنا الذى ورثناه أن من يفتح الأرض هو الرجل الأحمر، صاحب نبيهم (محمد) فإن كان قدم عليكم فلا سبيل إلى قتاله، ولابد أن أشرف عليه وانظر إلى صفته، فإن كان هو أجبته إلى ما يريد وإن كان غيره فلا بأس عليكم.. فلما رأى أبا عبيدة نظر إليه مليًا ثم قال: ليس هو الرجل فأبشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم، ثم كان ما حكيناه مما مر ذكره.

وكان من المفترض بعد ما أوضحته كل هذه النصوص الواردة على مدار هذا البحث فى الإنجيل خاصة، وإزاء هذا التحول وتلك



المواقف وهذا التعاون ممن هم من السابقين أدرى وأعلم بنصوص الإنجيل.. أن يواصل أتباع المسيح عليه السلام في هذه الآونة بالذات، دعمهم لأتباع ولجند النبي محمد ﷺ، وأن يقدموا العون الكافي على هذا النحو السالف الذكر كيما يحققوا ما جاء على لسان كلمة الله التي ألقاها إلى مريم وروح منه، بدلاً من أن يخونوا الأمانة وينقضوا العهد ويخالفوا تعاليم الرب.

ففيما يخالف هذه الروح من التعاون من أهل الإنجيل وما كان عليه أسلافهم، وفي سؤال طرحه د. أحمد شلبي في موسوعة الحضارة الإسلامية١٢- ٩٠عما استطاعت المجتمعات الغربية أن ترسخه في مجتمعات الشرق من قيم أخلاقية حميدة من أمانة وحسن معاملة.. إلى غير ذلك؟، كان جوابه: "وأين الأمانة وحسن المعاملة عندما سلم الإنجليز فلسطين لليهود بعد أن عينوا (هربرت صموئيل) الصهيوني، مندوبًا ساميًا بفلسطين، فخان بإيعاز من الغرب أمانة الانتداب وانحاز لليهود في كل الشئون، فكوّن منهم جيشًا وعمل على أن يمتلك اليهود الأرض، واتخذ الوسائل الظالمة ليبيع الكثيرون من الفلسطينيين أرضهم لليهود؟".

ومهما يكن من أمر، فليس ثمة ما يدل على هذا التحول والانتقال عندنا معاشر المسلمين، أعظم من إمامته صلوات الله

وسلامه عليه لجميع الأنبياء والمرسلين فى المسجد الأقصى، وذلك عندما حان وقت صلاة الفجر من صبيحة ليلة التتويج المباركة، وفى هذا يروى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه فى كتاب الإيمان قوله ﷺ: **[لقد رأيتنى فى الحجْر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربتُ كربة ما كربتُ مثله قط، قال: فرفعه الله إلىَّ انظر إليه ما يسألونى عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة [1] وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلى أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم – يعنى نفسه – فحانت الصلاة فأممتهم.. الحديث]** [2]..

وفى كيفية ذلك وهيئته، أخرج الطبرى عن أنس من طريق قتادة بلفظ: (ثم أُتيت بدابة يقال لها البراق فوق الحمار ودون البغل يقع خطوه منتهى طرفه، فحُملت عليه ثم انطلقنا – يعنى هو وجبريل

(١) الضرب من الرجال: الوسط فى كثرة اللحم وقلتـه، والجعـد: المسترسل الشعر، وشَنوءة: قبيلة عربية.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ١٩٢/٢ من المجلد الأول حديث رقم ٢٧٨.



– حتى أتينا إلى بيت المقدس فصليت فيه بالنبيين والمرسلين إمامًا ثم عرج بي إلى السماء)..

وفي رواية ثانية أوردها عنه من طريق شريك بن أبي نمر (ثم ركب البراق فسار حتى أتى به إلى بيت المقدس فصلى فيه بالنبيين والمرسلين إمامًا ثم عرج به)..

إنها الإشارة الواضحة إلى تحول المسار وإسلام القيادة وتسلم لواءها من قِبَل أصحاب الرسالات جميعًا بلا استثناء، لإمامهم وإمام البشرية جمعاء النبي محمد صلوات الله عليه وسلامه، كما أنها الإشارة الواضحة إلى استحقاقه وأمته دون غيرهم إرث بيت المقدس، ليعلم أهل الأرض جميعا أن شريعته ناسخة لجميع الشرائع، وأن كتابه مهيمن على جميع الكتب، وأن إمامته إمامة لجميع أمم النبيين، وأن رسالته هي الرسالة العامة لسائر الخلق أجمعين، ويشير ابن كثير ٣/٢ إلى هذا المعنى فيذكر أن الأنبياء "جُمعوا له هناك كلهم فأمهم صلوات الله عليه، في محلتهم ودارهم فدل على أنه الإمام الأعظم والرئيس المقدم.

ولعل فيما سبق ما تؤيده عبارة ابن القيم التي ذكر فيها ما نصه: "وقد قال الله في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب: (إنه يضع فسطاطه في وسط بلاد أخوته)، وهم بني إسرائيل، وهذه بشارة بنبوة

ابنه محمد الذى طلب فسطاطه وملك أمته فى وسط بلاد بنى إسرائيل وهى الشام التى هى مظهر ملكه[1].

ومن النصوص الصريحة الدالة على تحول الإمامة وإرث الملك والنبوة إلى محمد ﷺ وأمته، ما جاء فى إنجيل يوحنا٤: ١٩ - ٢١من أن امرأة من أولاد يعقوب قالت للمسيح عليه السلام: "يـا سـيد أرى أنك نبى. آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون: إن فى أورشـليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه. قال لها يسوع: يا امرأة صـدقينى إنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب"، فـ "هذا من المسيح عليه السلام إشارة إلى تغيير بيت المقـدس بالكعبـة الحرام، فإنها ناسخة لما تقدمها من جهات الصلاة، وصار السجود لله تعالى فيها لا فى أورشليم ولا فى غيره" كـذا ذكـره القرافـى فـى الأجوبة الفاخرة ص٢٠٥..

والذى تجدر الإشارة إليه، أن دين النبى محمد ﷺ قد انتشر فـى مشارق الأرض ومغاربها، وظهرت أمته على اليهود والنصارى فى أفضل الأرض وأجلها عندهم كأرض الشام ومصر والجزيرة العربية وغيرها، وحفظه الله على مر الدهور والأزمان من التغيير والتبديل، ومن كذب به استحق من الله اللعنة والغضب كمـا صـرحت بـذلك الآيات.. وأنه ما إن تحمل هذا الشعب العظيم وذاك النسل المبـارك

(١) هداية الحيارى ص ١٨١.

من صلب إبراهيم عليه السلام، أمانة الدين وعبء المسئولية إلا وانساح فى كل مكان من أرض الله، يدك معاقل الشرك ويقوض برسالة التوحيد أركان الوثنية التى فشل أتباع الرسالات قبلها فى القضاء عليها، وانطلق هذا الجيل الفريد لا يبالى ولا يتوانى عن تنفيذ ما نُدب إليه حتى تم على يديه إطفاء نار فارس وإجلاء الرومان عن المنطقة بأسرها، وحقق وعد الله فى أقل من عشر سنين وأقام شريعته فى المنطقة وما وليها فى أقل من قرن من الزمان.

الحقيقة الثامنة

التواصل الإيماني هو الأصل والأساس

إن الأصل فى عمارة الكون الذى لا يعبأ بنو إسرائيل به كثيرًا – لا سلفًا ولا خلفًا – هو التواصل الإيماني، وما التواصل النسلى إلا تبعًا لهذا الأصل وفرعًا عن ذاك الأساس، وما كان تبرأ إبراهيم من قومه بل ومن أبيه آزر عندما تبين له أنه عدو لله، إلا دليلا على تأكيد وترسيخ هذا الأصل وإعماله – فيما بعد – فى بنيه وعقبه.. وهو ما كان.

فما أعلنه إبراهيم حين اصطفاه ربه – من قولة: **﴿ أسلمت لرب العالمين﴾** – جعلها كلمة باقية فى عقبه، وفى هذا يقول جل شأنه: **﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين* إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين* ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾** (البقرة: ١٣٠، ١٣٣)، يقول الحافظ ابن كثير فى مرجع الضمير فى **(بها)**: "وصى بهذه الملة وهى الإسلام لله، أو يعود الضمير على الكلمة، وهى قوله: **﴿أسلمت لرب العالمين﴾** لحرصهم عليها ومحبتهم لها حافظوا عليها إلى حين الوفاة ووصوا أبناءهم بها من بعدهم، كقوله تعالى: **﴿وإذ**



قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون. إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين. وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون﴾ (الزخرف: ٢٦ :٢٨)"، يعنى إليها[1].. ويلاحظ فى آيات سورة الزخرف احتمال أن تكون الكلمة: **﴿إننى براء مما تعبدون﴾**، وهى لا تخرج فى مضمونها عما سبق، فهى على أية حال: (عبادة الله وحده لا شريك له).. كما يلاحظ فى آية البقرة كيف أن يعقوب المسمى بـ (إسرائيل) ما رغب مثقال ذرة عن ملة أبيه، وما اختلفت وصيته لبنيه قيد أنملة عن وصية جده إبراهيم، وعليه فما على بنيه – والحال كذلك – إلا تحمل تبعة مخالفتها.

وهذه المقدمة تجعلنا نؤكد أن لا صحة لما فهمه كتبة العهد القديم من نصوص تشير إلى أن وعد إبراهيم بأرض فلسطين، إنما كان قاصرًا على أولاده وأحفاده من نسل إسحاق، هكذا دون قيد بزمن أو التزام بوصية أو شرط بإنفاذ عهد، كما تجعلنا نؤكد أن لا حجة فيما استدلوا به من نحو ما جاء فى سفر الخروج٦: ٢-٤:.. "ثم كلم الله موسى وقال أنا الرب. وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شيء.. وأيضا أقمت معهم عهدى أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التى تغربوا فيها".

---

(١) ابن كثير ١: ١٨٥وينظر ٤: ١٢٦.

ونظيره ما جاء في سفر التكوين٣٥: ٥.. لأن هذا – على ما سبق أن ذكرنا بالدليل – ليس لهم الآن، وإنما كان لهم فيما مضى مشروطًا بشرط حفاظهم على الفرائض والأحكام والمواثيق، وإيان المدة المقررة والمقدرة لهم أزلا.

ومما يدل على أن ذلك كائن لنسل إسماعيل الأطهار، كما هو كائن لنسل إسرائيل قبل مبعث نبى المسلمين محمد عليه الصلاة والسلام، ففى سفر التكوين١٧: ٢٠ لما قال الله لإبراهيم: "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنذا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدًا اثنى عشر رئيسًا[1] يلد وأجعله أمةً كبيرة"، كان مراده من هذا التبشير، بمحمد ﷺ.. فإنه الذى عظمه الله جدًا جدًا باتفاق الأمم، إذ لم يظهر من قبل إسماعيل عليه السلام إلا النبى محمد صلوات الله عليه، وهو الذى صيره الله إلى أمة كثيرة حتى أربت فى كثرتها على نسل إسحاق، ولا ينكر ذلك إلا جاحد مكابر، ولا سيما مع قول الله فى سفر إشعياء ٥٤: ١، ٣، ٦– ٨ وبنحوه فى رسالة بولس لأهل

---

(١) هم – كأسباط يعقوب الاثنى عشر – آباء القبائل العربية وقد وُلد لكل واحد منهم أمة من الناس، وكان أشهرهم قيدار الذى من نسله انحدرت قريش التى منها النبى ﷺ، وفى تفاصيل وشرح ما جاء فى خبره، وفى هذه البشارة وكذا ما جاء على شاكلتها يُنظر: (إظهار الحق) ٤:١١٣٦–١١٣٨، ١١٥٥–١١٦٤ و(محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن)، ص٣، ١١، ١٦وما ولى هذه الصفحات.



غلاطية٤- ٢٧: "لأن بنى المستوحشة [1] أكثر من بنى ذات البعل.. ويرث نسلك أممًا ويعمّر مدنًا خربة.. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب.. لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعكِ . بفيضان الغضب حجبتُ وجهى عنكِ لحظة، وبإحسانٍ أبدى أرحمكِ، قال: وليك الرب".

وحين قالت سارة لإبراهيم: "اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق"، قال الله لإبراهيم: "بإسحاق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضًا سأجعله أمة لأنه نسلُكَ" سفر التكوين٢١: ١٠، ١٢ .

فهذه النصوص وما جاء على شاكلتها، تعنى ألا تعارض بين ما أفادته نصوص كتبهم، من جعل الوعد فى أولاد إسرائيل من نسل إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وجعله – بعد أن تنتهى مدة البركة الممنوحة من الله لبنى إسحاق – فى أتباع محمد ﷺ الذى هو من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ولا سيما أن ليس فى العهد القديم ولا الجديد ما ينفى هذا الانتقال، ولا ما يفيد أن هذا الوعد سيظل إلى

(١) يعنى أبناء السيدة هاجر وهم أولاد إسماعيل، إذ أسكنت فى الصحراء ببلاد العرب وكان أولادها –على ما تنبأت به آيات التوراة – كثيرين وورثوا الأمم السابقة، والمستوحش هو البعيد عن أهله، وهاجر – كما هو معلوم – كانت بعيدة عن أهلها فى مصر وبعيدة كذلك عن زوجها إبراهيم الذى كان يقطن فى بلاد الشام.

الأبد حكرًا على بنى إسرائيل، بل إن العكس – على ما رأينا فى النصوص السابقة – هو الصحيح، وما جاء من نصوص العهدين مما يفيد خلاف ذلك، فهو مما حُرف، ويَردُ عليه ما ذكرنا.

يؤيد ما أوردناه هنا من نصوص العهدين ويؤكده، أنه لم يأت من نسل إسماعيل بن إبراهيم نبي، ولن يأتي سوى محمد عليه وعليهما الصلاة والسلام، كما يؤيده ويؤكده أن كلمة (الأبد) ما جاءت فى التوراة والإنجيل إلا فى حقه وفى حق هذه الأمة المنتسبة إليه، ومما ورد من ذلك ما جاء فى سفر إشعياء ٢٦ :٢-٤ "افتحوا الأبواب لتَدخلَ الأمة البارة الحافظة الأمانة. ذو الرأى الممكن.. توكلوا على الرب إلى الأبد"، وقد ثبت عدم وجود هذه الصفات فى أمة يعقوب عليه السلام.

ومما يدل على المثلية فى منح الوعد من الله لأبناء إسماعيل، وأن ذلك كائن على أساس من الإيمان وتوحيد الله على غرار ما كان منه مع أبناء إسرائيل، أن إسرائيل حين وصى بنيه بعبادة الله وحده، لم يطمئنه إلا إعلامهم إياه أنهم سيستمرون على العهد فى عبادة إلهه وإله آبائه من الأنبياء، وفى ذلك يقول سبحانه: **﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون* أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل**



وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون﴾ (البقرة:١٣٢: ١٣٣)، فهاتان الآيتان تقرران حقيقة أن يعقوب (إسرائيل)، وصى بنيه بما وصى به إبراهيم، وصاهم بأن يعبدوا إلها واحدًا هو إله إبراهيم (جده) وإله إسحاق (أبيه) وإله إسماعيل (عمه).

فهى إذن دعوة مشتركة وملة واحدة تعاهد عليها الأبناء، وجمعت بين جميع آبائهم من الأنبياء من ذرية إبراهيم وعلى رأسهم إسرائيل بن إسحاق وإسماعيل الذى هو كإسحاق تمامًا لكونهما من ظهر إبراهيم وصلبه، وهو فى معنى ما جاء فى قول الرب لإبراهيم عقب ولادة هاجر لإسماعيل تكوين ١٧: ٥، ٧ : "أجعلك أبًا لجمهور الأمم.. وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم، عهدًا أبديًا لأكون إلهًا لك ولنسلك من بعدك".

وإذا كان الأمر كذلك، فلا غرو ولا عجب عند إخلال بنى إسرائيل بوصية أبيهم يعقوب وجدهم إبراهيم – المخاطب بجعل الأمر فى نسله دون تحديد ولا تمييز – أن ينتقل الأمر إلى إخوتهم وبنى عمومتهم من نسل إسماعيل ليتم التواصل الإيمانى فى هذه الشجرة المباركة، وإلا عُد عدم انتقاله وتحوله عن بنيهم مع إصرارهم على مغايظة الرب ومواصلتهم فعل المعصية والاعتداء على الذين يأمرون بالقسط من الناس، محاباة يتنزه عنها الرب الذى

أمر الجميع دون ما مفاضلة، بألا يعبدوا سواه وبأن يَمتثلوا أوامره وينتهوا عن مناهيه.

فكل هذه النصوص، تشير إلى أن الموعود به الذى هو مثله فى الجلالة والرسالة العظيمة والذى جعل الله أمره مستأنفًا هو النبى محمد ﷺ، وليس – على حد ما ذكر القرافى فى كتابه (الأجوبة الفاخرة) ص٢٠٠ – هارون عليه السلام لقول التوراة: إنه مات قبل موسى عليه السلام.. ولا يوشع بن نون عليه السلام، لأنه أقيم نبيّا قبل هذا الخطاب، ولأنهما صلوات الله عليهما من بنى إسرائيل، وموسى قال: (من إخوتهم) ولم يقل من أنفسهم، فتعين أن يكون من ولد إسماعيل أخى إسحاق، فإنهما أخوان وأولاد أحدهما أخوة الآخرين، ولم يخرج من ولد إسماعيل إلا محمد ﷺ فيكون هو الموعود به، وأما عيسى عليه السلام فعند النصارى رب، وعند اليهود كآحاد الناس وليس الموعود به إجماعًا "أهـ .

وفيما سبق من قول موسى – عليه السلام – مما ورد ذكره فى سفر التثنية ١٨: ١٨: "أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك"، مع ما أوضحناه فى الحقيقة الثالثة بشأن الأبدية الحاصلة فى رسالة محمد ﷺ والمبشر بها هو وأمته، ما يكشف زيف ما تزعم من يهود من أن تلك الأبدية إنما هى أمر خاص بهم وبنسل نبيهم إسرائيل على ما تُفهمه عبارة سفر التكوين١٧: ١٩وفيها:



"بل سارة امرأتك تلد لك – والخطاب هنا بداهة لإبراهيم عليه السلام – ابنًا وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدى أبديا لنسله من بعده"، إذ لا يتأتى بحال من الأحوال أن يكون الأمر كذلك مع وعد الله لموسى أن يقيم لهم نبيًا من وسط أخوة يعقوب، كما لا يصح أبدًا ولا يعقل فى لغة أمة من الأمم أن يقال إن بنى إسرائيل إخوة لبنى إسرائيل وبنى تميم أخوة لبنى تميم.. بخلاف قولك: (بنو إسماعيل إخوة لبنى إسرائيل) و(زيد أخو بنى تميم)، و(هود أخو عاد) و(صالح أخو ثمود) أى واحد منهم، فهو أخوهم فى النسب والأصل يعنى من ناحية الجد، ولو قيل: (عاد أخو عاد)، و(ثمود أخو ثمود)، و(مدين أخو مدين)، لكان نقصًا وخطأ صريحًا.

وفى بيان ذلك يشير ابن القيم رحمه الله إلى أن: "أخوة بنى إسرائيل إما العرب وإما الروم، فإن العرب بنو إسماعيل والروم بنو العيص، وهؤلاء إخوة بنى إسرائيل، فأما الروم فلم يقم منهم نبى سوى أيوب وكان قبل موسى، فلا يجوز أن يكون هو الذى بشرت به التوراة، فلم يبق إلا العرب وهم بنو إسماعيل وهم أخوة إسرائيل"[1].. ومما يعد عمدة وأساسًا فى حسم هذا الأمر فيما نطقت به كتبهم، ما جاء فى سفر التكوين ٢٥: ١٨ من أن إسماعيل وذريته "سكنوا من

---

(١) هداية الحيارى ص١٨٠، ١٨١.

حويلة إلى شور التى أمام مصر حينما تجئ نحو أشور، أمام جميع إخوته نزل"، حيث جاء التعبير بالأخوة صريحًا فى حق بنى إسماعيل.

وقد تنبه لهذا الزيف الذى يروج له اليهود، عالمان فرنسيان هما (جاك لرومال) و(مارى لوروا) إذ يقولان - تعليقًا على نص التوراة الذى يقول : "إن الرب أوحى إلى إبراهيم بالذهاب إلى فلسطين قائلا "لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير: نهر الفرات" - : "إن هذه الآية[1] إن صحت فإن هذا الوعد، ينصب على ابن إبراهيم: (إسماعيل أبى العرب)"[2].

ولا غرو أن يكون مسماه صلوات الله وسلامه عليه فى الإنجيل والكتب السالفة (أحمد)، لأنه كان كذلك "قبل أن يكون (محمدًا) كما وقع فى الوجود.. وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس، وكذلك فى الآخرة يحمد ربه فيشفعه فيحمده الناس"[3]، وتفسيره أنه ﷺ أحمد الناس لربه، فهو من ثم أحق الناس وأولاهم بأن يحمد لما له من كثير الخصال التى يستحق أن يحمد عليها فى الدنيا والآخرة فصار من

---

(١) وهى فى التوراة السامرية بسفر التكوين ١٥: ١٨، وكذا ما جاء على شاكلتها كالتثنية ١: ٧ فى النسخة العبرانية، والتثنية ١١: ٢٥ بهما.

(٢) ينظر : موسوعة بناء منهج إسلامى متكامل أ: أنور الجندى ٥: ٢٢٨.

(٣) كذا ذكره ابن حجر فى الفتح ٦:٦٤١ عن القاضى عياض.

أجل هذا محمدًا.. فالاسمان واقعان على المفعول ويفيدان المبالغة بيد أنها في محمد للكثرة والكمية، وفي أحمد في الصفة والكيفية وكل في موضعه أبلغ في مدحه عليه السلام وأكمل في المعنى.

يضاف لما سبق من إيماءات نصوص التوراة، أن دلالة نص إشعياء٩: ٧-٩ "لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنًا، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبًا مشيرًا إلهًا قديرًا أبًا أبديًا رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام، لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد، غيرة رب الجنود تصنع هذا".. أقول: إن دلالة هذا النص على محمد بن عبد الله ﷺ، أظهر وألزم من دلالته على غيره، فإنه الذي رئاسته على عاتقه وبين منكبيه من جهتين:

من جهة أن خاتم النبوة على نغض كتفيه وهو من أعلام النبوة التي أخبرت به الأنبياء وشهده لفيف من كبراء الأحبار والرهبان ممن عاصروه.

ومن جهة أنه بعث بالسيف الذي يتقلد به على عاتقه بين يدي الساعة، وهذا يشير إليه قوله: "أبا أبديا رئيس السلام. لنمو رياسته"،

يعنى لكونه المؤيد المنصور، رئيس السلامة[1]، فإن دينـه الإسـلام ومن اتبعه سلم من خزى الدنيا ومن عذاب الآخرة ومن استيلاء عدوه عليه، ثم إنه – على ما تقرر – الذى سلطانه هو السلطان الكامل الذى ليس له فناء إلى آخر الدهور[2].

ولا يقدح فى ذلك كون إسماعيل ابنًا لهاجر المقصاة[3]، لأن الكل فى النهاية أولاد لإبراهيم الذى هو أب لجميعهم بنص كتبهم، ففى خطابه لإبراهيم فى سفر التكوين ١٧: ٥ يقول الرب: "أجعلك أبًا لجمهور من الأمم".

كما لا مجال للتعجب الذى ورد فى عديد من نصوص كتبهم كالمزمور١١٨: ٢٢، ٢٣ وإنجيل متى ومرقس ولوقا وأعمال الرسل

---

(١) ولا يشك أحد فى أنه ﷺ بتشريعاته قد رسخ مفهوم السلام فى نفوس المسلمين منذ أربعة عشر قرنًا، بل إن دينه نفسه (الإسلام)، مشتق من نفس الاسم الذى اشتق منه السلام، وتحية المسلمين التى جاء بها وأمرهم بإفشائها هى السلام، وقد علم نبى السلام أتباعه أن يختموا صلواتهم بالسلام، كيما يشيعونه فى جنبات الحياة ويدعون إليه كل من عن أيمانهم وعن شمائلهم وفى كل مكان شرقًا وغربًا.

(٢) ينظر : هداية الحيارى لابن القيم ص ٣٠٥، ٣٠٦.

(٣) ولا لما يزعمونه من أن إسماعيل ابن الجارية وإسحاق ابن الحرة، لأن إسرائيل كما ذكرت التوراة بعد أن تزوج ابنتى خالته (راحيل) و(لأة) تزوج جاريتيهما (بلهة) و(زلفة) وقد ولدت الجاريتان أربعة من بنى إسرائيل وعليه فلا فرق، وبخاصة مع ما جاء فى سفر الملوك الأول١١: ٣ نبأ زواج سليمان بسبعمائة من النساء السيدات وبثلاثمائة من السراري.



بالإصحاحات ٢١- ١٢- ٢٠- ٤على الترتيب، من أن الحجر الذى رفضه البناءون قد صار رأسًا للزاوية من قبل الرب..[1] لأن ذلك أمر معلوم من قبل، فإبراهيم الذى تبرأ من أبيه وقومه لما تبين له أنهم أعداء لله – كما جاء فى القرآن – أطلعه ربه بأمر أولئك البناءين الفجرة من بنيه الذين رغبوا عن ملته وارتدوا، وأخبره "أنه سيكون من ذريته ظالمون، وأنه لا ينالهم عهد الله ولا يكونون أئمة"[2]، فقال سبحانه له: **﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾** (البقرة:١٢٤)، فكان من الطبيعى لشيخ الأنبياء أن يمهد بوحى من ربه للبديل ولذلك الحجر الذى سيصير يومًا ما رأسًا للزاوية، وأن يتبرأ من أولئك الرافضين للحجر لكونهم الذين فعلوا فى أنفسهم – بظلمهم وبتخليهم عن ملته – ما استوجب ذلك الاستبدال من قِبَل الرب.

---

(١) ووجه الغرابة من وجهة نظرهم أن يرسل الرب رسولا من غير الإسرائيليين يعنى من بنى إسماعيل بن إبراهيم الذى رفضته هو وأمه زوجة أبيه سارة.

(٢) تفسير ابن كثير ١:١٦٧.

الحقيقة التاسعة
أحقية ذرية إسماعيل فى أرض فلسطين
كما ترويها حقائق التاريخ
والمنظمات الدولية وأدلة العقل والنقل

المعهود لدى إسرائيل أنها لا تقيم وزنًا للأعراف ولا للمواثيق الدولية، ولا للقيم ولا للمبادئ الإنسانية، ويشهد التاريخ كم هو حجم القوانين التى صدرت بحقها على امتداد أكثر من خمسين عامًا دون أن تلقى لها بالا، ونذكر من جملة تلك القرارات التى تدين وتبطل جميع الأعمال التى تقوم بها إسرائيل بما فى ذلك أعمال القتل والإبادة والتدمير ومصادرة الأراضى والأملاك التى من شأنها أن تؤدى إلى تغيير الوضع القانونى للقدس بالقوة:

قرار الأمم المتحدة رقم ٢٢٥٣ بتاريخ ٤: ٧: ١٩٦٧م، وقرارها رقم ٢٢٥٤ بتاريخ ١٤: ٧: ١٩٦٧م، وقرارها رقم ٢٨٥١ بتاريخ ٢٠ :١٢ :١٩٧١م، وقرارها الصادر فى أول ديسمبر عام ١٩٩٦م وقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بتاريخ ٢٢ :١١: ١٩٦٧م، وقراره رقم٢٥٢ فى ٢١ :٥ :١٩٦٨م، وقراره رقم٢٩٨ بتاريخ ٢٥ :٩ :١٩٧١، وقراره رقم ٣٣٨ بتاريخ ٢٢ :١٠ :١٩٧٣م، وقراره رقم ٤٧٦ الصادر فى يونيو عام ١٩٨٠م، وقراره رقم٤٧٨



فى ٢٠ :٨: ١٩٨٠م الذى يقضى بعدم الاعتراف بقانون القدس الذى أصدره الكنيست فى ٣٠ :٧: ١٩٨٠م بشأن توحيد القدس (الشرقية والغربية) وجعلها عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، كما دعا الدول التى أقامت بعثات دبلوماسية فى هذه المدينة المقدسة إلى سحب هذه البعثات.. وأكد المجلس فى قراره أن قانون الكنيست يشكل انتهاكًا صارخًا للقانون الدولى ويتعارض مع اتفاقية جنيف الرابعة الموقعة فى ١٢: ٨: ١٩٤٩م والمتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب.

وقد سبق هذا القرار السالف الذكر، القرار رقم ٢٦٧ بتاريخ ٣: ٧: ١٩٦٩م المؤكد لعدم قبول مبدأ الاستيلاء على الأرض بالغزو العسكري، وأبدى أسفه لعدم احترام إسرائيل لقرارات المجلس والجمعية العامة، وشجب بشدة جميع الإجراءات المتخذة لتغيير وضع القدس واعتبرها باطلة، ودعا إسرائيل مجددًا إلى إلغاء جميع هذه الإجراءات.. وقراره رقم ٥٩٢ فى ٨ :١٢ :١٩٨٦م.. وقراره رقم٦٨١ فى ٣٠: ١٢: ١٩٩٠م.. وقراره الصادر فى ١٦ :٥: ١٩٩٦م.. وقراره الصادر فى ١٤ :٧: ١٩٩٨م.. وقرارى منظمة اليونيسكو ١٥م:٣٣٤٢، ١٥م:٣٣٤٣ فى خريف عام ١٩٦٨م.. وقرارها رقم: ٣٤٢٢ فى نوفمبر ١٩٧٢م .. وقرار لجنة حقوق الإنسان رقم ٤ بتاريخ ١٤ :٣ :١٩٧٣م.. وقرار محكمة العدل

بشأن عدم أحقية إسرائيل فى بناء جدار الفصل العنصري.. وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٠: ٧ : ٢٠٠٤م بأغلبية ١٥٠ صوتًا ضد ٦ أصوات منها بالطبع الولايات المتحدة، وامتناع ١٠ عن التصويت بهدمه وإرجاع الأراضى المغتصبة التى بنى عليها لأصحابها .

وما ذكر هنا فى الحقيقة، يعد قليلا من كثير مما لا يؤيد حق إسرائيل فى أرض فلسطين، غير أن جميع هذه القرارات من كل هذه المنظمات الدولية لا تعدو أن تكون حبرًا على ورق، ولم تفكر أى من هذه المنظمات الدولية فى معاقبة هذه الدولة المدللة والقائمة على الإرهاب واغتصاب أراضى الغير والتى تدافع عنها أمريكا باستماتة، بأى من تلكم العقوبات التى تستخدم ضد الدول الإسلامية والعربية للا سبب أو لأتفه الأسباب أو عقب اختلاق أسباب، حتى وصل حال إسرائيل الآن والمسلمين – الذين تداعت عليهم الأمم بسبب إعراضهم عن منهج ربهم فأضحوا كالأيتام على مائدة اللئام – إلى ما وصل إليه.

وإذا كان يهود عصرنا لا يكفون عن دعوى أحقيتهم فى أرض الميعاد بل وفى قبلة المسلمين الأولى (المسجد الأقصى) فيعملون – جاهدين وجادين لإثبات هذا الحق المزعوم والوعد المكذوب – على نقضه وطمس معالمه لحد أن صار هدمه لا قدر الله مسألة وقت



على ما ذكرت صحيفة (هاآرتس) الإسرائيلية في ١٢: ٨: ١٩٦٩م، فإن الثابت شرعًا وتاريخًا:

١- أن سليمان الذى يريدون أن يرفعوا على أنقاض المسجد الأقصى هيكلا له خالوه، عمل على تجديد هذا المسجد العتيق المبارك الذى بنى بعد المسجد الحرام بأربعين عامًا على ما صح فى الحديث، وذلك بعد أن اندرست معالمه عبر القرون المتطاولة، فكيف بمن يجدد مسجدًا هو ثانى مسجد بنى على وجه الأرض، وله من المكانة ما له، أن يبنى مكانه أو أسفله أو حتى بجواره هيكلا تتنافى رسالته مع رسالة المسجد تنافيًا يصل إلى حد أن يبنى أحدهما على أنقاض الآخر كما تزعم يهود؟.

٢- إن الملاحظ فى حديث المؤرخين القدامى من أمثال ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) فى كتابه (الكامل) وابن كثير (ت ٧٤٧هـ) فى كتابه (البداية والنهاية) وغيرهما[1]، أنهم لم يعرضوا سوى لبناء المسجد وإتمامه على يد داود وسليمان عليهما السلام ولم يتطرقوا

(١) ينظر : حديثهما عن هذه الحقبة فى الكامل٢٢٧:١، ٢٢٨، والبداية النهاية ٩:٣-٣٣من المجلد الأول، وينظر كذلك تاريخ الطبري٤٧٦:١-٥٠٣.

للحديث عن الهيكل[1]، بل إن الذين كتبوا فى هــذا الموضــوع مــن الباحثين التوراتيين والإفرنج ومن ساندهم من حراس الفكــر الآســن العربى فى جامعاتنا ومراكز أبحاثنا ممن أشاروا إلــى وجــوده، لــم يقدموا دليلا أو مصدرًا واحدًا يكشف عن حقيقة هــذه المفــردة كمــا خالها معشر يهود سوى التوراة، إذ لم تسهم المخلفات الأثريــة فــى إثبات ذلك كما لا توجد مصادر تاريخية تدعم الــسجل التــوراتي، وممن قرروا تلك الحقيقة من علماء الآثار فــى الجامعــة العبريــة وغيرهم (أمنون بن ثور) و(طومسون) و (رونى ريــك) و (ميللــر) و(غاريبيى) و(ليتش) و(فلاناغن) وغيرهم، ومن ثم بدأ الإجماع فــى السنوات الأخيرة على أن فكرة مملكة سليمان وهيكله المزعوم فــى فلسطين تتداعى تدريجيًا.. وقد أسهم هذا الغياب للأدلة والآثار بقــوة، فى إسقاط ماضى هذا الهيكل المتخيل، وإن كانت فكرتــه لا تــزال تهيمن على خطاب الدراسات التوراتية[2] على الرغم من أن التــوراة

---

(١) كما لا وجود لذكر هيكل سليمان فى قواميس اللغة من نحو لسان العرب والقــاموس المحيط والمصباح المنير ومختار الصحاح وغيرها، مع استيعاب هــذه المعــاجم لجميــع مفردات اللغة ورغم قدم هذه المفردة.

(٢) يقول عالم الآثار الأمريكى (غوردون فرانز) الذى قضى عامًا ينقب عن الآثار فــى القدس: "لا يوجد أى دليل يثبت أن هيكل اليهود كان موجودًا فى هذا المكان، لكن اليهــود يفترضون وجوده فى هذا المكان دون أن يقدموا البرهان على دعواهم".. ينظــر : مجلــة الأزهر ١٩٩٦:١٢ص ١١٢٣، ومنار الإسلام عدد١٩٨٤:٤.



باعتبارها نصا مقدسا ليست مرجعًا ولا تعكس بالضرورة الحقائق التاريخية، والأمر فيها – على ما يبدو – لا يعدو أن يكون محاولة ممن صاغوا التوراة فى القرن الثانى ق. م لإثبات تواجد لليهود بأى شكل فى أرض الميعاد[1].

٣- وتدعيمًا لما سبق تقريره من عدم وجود أى أثر يدل على وجود الهيكل، نقول: إنه ومنذ أن وطئت أقدام الاستعمار الأوربى الأرض العربية فى القرن التاسع عشر، والمستشرقون وعلماء الآثار ما انفكوا يتوافدون على القدس باعتبارها مهد المسيح ومكان دعوته وأيضا بوصفها أرض التوراة، وقد استغلت الحركة الصهيونية هذا الأمر فى خططها للترويج لدعوى عودة اليهود إلى الأرض المقدسة، مستفيدة من أطماع القوى الأوربية الاستعمارية فى الشرق، وكونت من أجل العثور على أى أثر يثبت حقها للعودة، جمعيات ومؤسسات ومدارس بحثية كان من أهمها:

صندوق استكشاف فلسطين ، وهو هيئة بريطانية أنشئت عام ١٨٦٥م، جمعية الاستكشاف الفلسطينية وهى جمعية يهودية أمريكية تأسست عام ١٨٧٠م، جمعية الآثار التوراتية وهى جمعية بريطانية أنشئت عام ١٨٧٠م، والجمعية الألمانية للأبحاث الفلسطينية أنشئت

(١) ينظر: (اختلاق إسرائيل القديمة) مقال لأحمد الدبش ص٨٩ من مجلة القدس عدد ٢٨.

عام ١٨٧٧م، والمدرسة الفرنسية للدراسات التوراتية والأثرية أنشأت عام ١٨٩٢م، والجمعية الألمانية للدراسات الشرقية أنشأت عام ١٨٧٩م، والمدرسة الألمانية للأبحاث الشرقية للقدس تأسست عام ١٩٠٠م وهى تعرف الآن باسم مدرسة أولبرايت نسبة لاسم العالم التوراتى (وليام فولبرايت) اليهودى الأصل، والمعهد البروتستانتى الألمانى للدراسات التاريخية فى الأرض المقدسة أنشأ عام ١٩٠٢م، وقد باءت كل مساعى هذه الجمعيات بالفشل الذريع فى إيجاد دليل أثرى واحد يثبت وجود بقية للهيكل أسفل الحرم القدسى الشريف أو المسجد الأقصى.

وخارجًا عن نطاق العمل المنظم والكثيف لهذه الجمعيات ووريثاتها من المؤسسات الإسرائيلية فقد عملت فى مدينة القدس تحديدًا، للبحث عن بقايا هيكل سليمان، عدة بعثات أثرية معنية بالحفائر، انطلقت جميعها من فرضية صحة ما جاء فى التوراة من معلومات تاريخية وحضارية كان أهمها:

حفائر (باركلي) المبشر الأمريكى وكانت عام ١٨٣٩م.. وحفائر (شارلفروارن) الضابط الإنجليزى وكانت عام ١٨٦٧م.. حفائر (بلبيس) وهى فيما بين عامى ١٨٩٣و١٨٩٦م.. وحفائر (الكابتن واركر) ضابط إنجليزى وكانت عام ١٩١١م بناء على طلب وتمويل المليونير اليهودى روتشيلد.. وحفائر (ماكاليستر) الإنجليزى



١٩٢٣- ١٩٢٦م.. وحفائر (كروفوت) عام ١٩٢٧.. وحفائر المدرسة الإنجليزية للآثار عام ١٩٦١م.. وحفائر مصلحة الآثار الإسرائيلية عام ١٩٦٧م تحت إشراف (دهنس).. والحفائر المشتركة بين الجامعة العبرية وجمعية الكشف الإسرائيلى منذ ١٩٦٨م، ولم تسفر كل هذه الحفائر كذلك عن أى شيء سوى تشويه معالم الآثار والحضارة الإسلامية(١).

٤- ومما يدعم ما سبق تقريره من عدم وجود أى أثر للهيكل المتخيل.. ما أعلنه العالم الأثرى الإسرائيلى (زئيف هرتسوغ) حديثًا، وذلك فى تقريره المثير للجدل الموسوم بـ (التوراة: لا إثبات على الأرض).. ذكر:

"أنه بعد سبعين عامًا من الحفريات المكثفة فى فلسطين، توصل علماء الآثار إلى نتيجة مخيفة، هى أنها: لم يكن هناك أى شيء على

(١) وقد بدأت هذه الحفائر من الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية من الحرم القدسي، وتصدعت على إثرها بعض المنشآت التاريخية القريبة من الحرم، بل وهدم حى المغاربة وآثارها الإسلامية بالجرافات، وأزيلت – تحت إشراف وزارة الأديان الإسرائيلية وتحت سمع العالم وبصره – (الزاوية الفخرية) من العصر المملوكي، كما تم حفر نفق تحت المبانى الأثرية التى يعود تاريخها إلى القرن السادس والسابع الهجريين (١٢-١٣م)، بطول ٢٨٠مترًا، وترتب على ذلك انهيار رباط الكرد ومبنى المدرسة العثمانية، وتصدع خطير فى المدرسة الجوهرية أحد أهم الآثار المملوكية بالقدس.

الإطلاق، ولا ذكر لامبراطورية داود وسليمان"، ويأتي تقريره هذا – بالطبع – بعد أن استفرغ الدارسون التوراتيون والآثاريون ومنهم إفرنج ومنتسبون إلى دائرة الآثار الإسرائيلية الرسمية كل ما في وسعهم، وبعد أن بحثوا في كل مكان ورد اسمه في التوراة التي جعلوها في يد والمجرف في اليد الأخرى، وكانت المفاجئة أن ما وجد يؤكد بطلان ما جاءت به التوراة ويوجب قراءة التاريخ العربي عامة والفلسطيني خاصة قراءة جديدة وموضوعية[1].

٥- كما يدعمه شهادة الدكتورة (كاتلين كابينوس) مديرة الحفائر في المدرسة البريطانية للآثار بالقدس، التي قررت سنة ١٩٦٨م ضمن فريق من علماء الآثار المسيحيين عدم وجود أي أثر لهيكل سليمان.. وشهادة فريق المهندسين العالميين الذين درسوا التربة التي يقوم عليها المسجد الأقصى في وقت لاحق، وتعمقوا فيها، وخلصوا إلى أنه لا يوجد في ذلك المكان أي دليل أو شبهة لأي أثر من الهيكل الذي تدعي الصهيونية أنه مدفون بجوار حائط البراق الغربي بالمسجد الأقصى[2].

---

(١) مجلة القدس العدد ٢٨ص ٩٠-٩١ عن صحيفة هاآرتس في ١٩٩٩:١٠:٣.

(٢) ينظر(محمد نبي الإسلام) للطهطاوي ص١٣-١٤ ، و(القدس مدينة السلام عبر التاريخ) من مطبوعات الجمعية الشرعية بمصر العربية ص٢٩ ، و(عروبة بيت المقدس) للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد ٦٧ ص ٥٦.



والغريب في الأمر، أنه وعلى الرغم من أن هذه المساعي السالفة الذكر والتي لم تسفر عن شيء يكشف عن الهيكل المدعى والتي تشكل عدوانًا حضاريًا ليس على معالم ومقدسات المسلمين وحسب، بل وعلى الطابع السكاني بها بتشييد الفنادق والبيوت لإسكان المهاجرين اليهود مكان المباني الإسلامية القديمة والعربية الحديثة.. إلا أن الصهاينة لا يزالون يرددون المزاعم ويخططون إقامة الهيكل على جزء من الحرم القدسي بل وعلى أنقاضه وفي القلب منه، وتتم محاولات وضع أساس الهيكل بشكل سنوي منذ عام ١٩٨٩م، ونماذج الهيكل موجودة معروضة، والتمويل تبرع به كبار الأثرياء اليهود بينما المهندسون وعلماء الآثار وغيرهم يتطوعون وجاهزون للعمل في أية لحظة.

٦- وكما عجزت تقارير وشهادات الصهاينة ومن والاهم عن إيجاد أي أثر للهيكل وعن إثبات أي دليل تاريخي يؤكد وجوده، فقد عجزت كذلك عن إثبات أي أثر أو دليل يقطع بأن حائط البراق الذي يسمونه بـ (حائط المبكى)، جزء من سور كان حول هيكل سليمان.. بل إن اللجنة الدولية المتفرعة عن عصبة الأمم المتحدة التي تكونت سنة ١٩٢٩م برئاسة (وولترشو) للنظر في الخلاف حول ملكية المبكى ومكثت شهرًا كاملا في فلسطين من ١٩:٦: ١٩:٧: ١٩٣٠م

واستمعت لأحد عشر محاميًا من مسلمين ومسيحيين من مختلف دول العالم كما استمعت لأقوال ٢٢ شاهدًا قدمهم الجانب اليهودي، أثبتت من خلال وثيقة فندت فيها إيماءات الإسرائيليين بحقهم التاريخي في القدس، بأن الحائط وقف للمسلمين العرب ولا يجوز لأحد أن ينازعهم فيه، ومن ثم لم تقر هذه اللجنة وجهة النظر الصهيونية وما تخطط له من إخراج ١٠ آلاف مسلم من القدس القديمة بأي شكل وبمختلف الأساليب، وإحلال ٥٠٠٠ يهودي مكانهم، ومن إزالة الأبنية التاريخية والآثار الإسلامية الملاصقة لسور المسجد الأقصى من الجهة الغربية وتوسيع حائط المبكى، ومن فتح أنفاق تحت المسجد، وحكمت لجنة (وولترشو) الدولية بعد دراسة وافية لكافة الوثائق، بإبقاء الحال على ما هو عليه ومنع اليهود من إدخال أي تغيير فيه.

وبنحو ذلك فعلت منظمة اليونسكو التي أدانت بقراريها ٨٢، ٨٣ في ١٩٧٠م إسرائيل على إحراق المسجد الأقصى وعلى استمرارها في الحفريات كما دعتها للالتزام فورًا بالقرار ١٧م:٣٤٢٢ الصادر في نوفمبر ١٩٧٢م القاضي بالكف عن تغيير معالم القدس.

٧- بل إن العالم اليهودي (إبراهام برانيس) الذي قضى معظم حياته في إجراء حفريات حول (القدس وعلاقتها باليهود)، كشف – حسب ما جاء في مجلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامي



ص ١٢٦ العدد١٥٦ نقلا عن جريدة السبيل الأردنية العـدد ٣٥١ - عن استنتاجات غاية فى الخطورة، تقول: "إنه لا يوجد أى دليل على وجود ما يسمى بـ (حائط المبكى)"، وقال فى تصريحات أدلت بهـا مؤخرًا: "إنه فى المكان الذى يدَّعى اليهود الآن أنه حـائط المبكـى والملاصق لسور المسجد الأقصى لا يوجـد شـىء يـسمى حـائط المبكى".. الأمر الذى يؤكد من جديد عدم وجود أية أدلة مادية تـشير من قريب أو من بعيد إلى الهيكل المزعوم، ويؤكـد بالتـالى كـذب الادعاء اليهودى بالحق التاريخى لهم فى أرض فلسطين.

٨- كما يؤكد ذلك، موقع المسجد الأقصى نفسه.. ذلك أن مـن أبرز المعالم التى تميز الحرم الإسلامى الشريف أنه مستطيل ويأخـذ الاتجاه من الشمال إلى الجنوب فى اتجاه قبلة مكـة المكرمـة علـى خلاف الهيكل قبل إبادته وتدميره ومحوه، فإنه وكما أفـادت دراسـة الأثرى الفرنسى (دى سولس) فى كتابه (تاريخ الفن اليهودي) - كان يأخذ الاتجاه من الغرب إلى الشرق، وهذا فى حد ذاته ينفى نفيًا قاطعًا الرأى القائل بأن الهيكل يقوم مكان الحرم الإسلامى الـشريف[1]، إن افترضنا جدلا وجود هيكل فى الأصل.

(١) ينظر (القدس عربية إسلامية) د. قرج راشد ص ٧٠عن كتاب (إسرائيل ركيزة الاستعمار بين المسلمين) د. حسن ظاظا ص١١٦-١١٧ مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة عدد ٧٣

٩- ثم إن القول بثبوت أحقية اليهود فى بلاد المسلمين المقدسة بحجة الهيكل وبمجرد انتسابه لنبى الله سليمان الذى يعدونه نبيًا من أنبيائهم، قول خاطئ ومجاف للحقيقة، ذلك أن سليمان وجميع آبائه وأجداده من النبيين ما كانوا قط فى يوم من الأيام يهودًا أو نصارى أو عابدين لعجل أو وثن، والعقل والنقل يقضيان بهذا، فجميعهم كانوا على ملة أبيهم إبراهيم حنيفًا مسلمًا، والشرك أبغض ما يكون إلى قلوبهم، وهم ما بعثوا إلا لترسيخ عقيدة التوحيد التى هى فى الأساس ملة إبراهيم ووصيته إليهم، واليهودية والنصرانية ما ظهرت وما وجدت إلا فيما بعد، فأنى له أن يكون هو أو أحد من أبنائه كذلك، **﴿وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده﴾** (آل عمران:٦٥)؟.

وعليه فعندما يقرر القرآن حقيقة **﴿ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين﴾** (آل عمران: ٦٧)، يكون قد وافق العقل فى تقرير ما كان عليه أبو الأنبياء وما كان عليه أبناؤه بالطبع من التوحيد الخالص، وما عند القوم من دليل يثبت أنهم أو واحدًا منهم كان على غير ذلك، ومن هنا ساغ للقرآن أن يوجه خطابه مستنكرًا وقائلا: **﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده وما الله بغافل عما تعملون﴾** (البقرة:١٤٠).. وأن يوضح بعدُ، ما كان من أمر سليمان عليه



السلام، ومن أمر تسبيح الخلق ودعوة الطير إلى دينه الإسلام، فلقد جاءه الهدهد – بعد أن استعرض عليه السلام ملكه ولم يجده – جاءه متعجبًا لما تفعله ملكة سبأ، وقائلا: **﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون* ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون* الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾** (النمل:٢٤-٢٦)، وبعد محاورة ومداورة بينها وبين سليمان **﴿ قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾** (النمل:٤٤).. وأن يخلص من كل ذلك إلى حقيقة أن **﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا﴾** (آل عمران: ٦٨)، وأن المسلمين من سلالة إسماعيل هم الوارثون الشرعيون لتراث الأنبياء لأنهم الذين آمنوا برسالاتهم الحقة بعد أن كفر بها غيرهم، وهم الذين صانوا بيت المقدس وسائر المقدسات الإبراهيمية والموسوية والسليمانية بعد أن تسبب غيرهم فى خرابها، وهم الذين حافظوا – على مدار الأحقاب والأزمان – على تلك المقدسات واعتبروها جزءًا لا يتجزأ من تراثهم الدينى والروحى بعد أن شوه غيرهم معالمها.

١٠- وإذا كان الخليل إبراهيم عليه السلام هو الذى رفع قواعد البيت الحرام بصحبة ابنه من هاجر إسماعيل عليه السلام، وكانت المدة الزمنية بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى على نحو ما ورد فى الصحيح أربعين عامًا.. فمن المعقول - سعيًا وراء تحقيق موعود الله لشيخ الأنبياء عليه السلام - أن يكون إسحاق عليه السلام ابنه من سارة، هو الذى جدد بإيعاز من أبيه أو بأمر من الله المسجد الأقصى فى الأرض التى بارك سبحانه فيها وحولها، وعليه فليس لداود وسليمان من عمل سوى رفع قواعده وتجديده مرة أخرى، فأين الهيكل من كل هذا؟.

١١- وإذا كان هذا المسجد هو عينه الذى أسرى برسولنا محمد ﷺ إليه وقد رآه - بالطبع - على الحال الذى كان عليه، وإلا لما أطلق عليه القرآن مسجدًا، ولما تسنى للرسول أن يصفه للمشركين عندما جادلوه فى أمره صبيحة أسرى به إليه.. فإن هذا يعنى أن المسجد الأقصى خلال هذه المدة الطويلة التى استمرت من عهد إسحاق الذى كانت ولادته فى القرن العشرين قبل الميلاد إلى مبعث النبى محمد سنة٦١٠ على الأرجح، وإسرائه ﷺ إليه بعيد ذلك، مرورًا بعهد داود ثم سليمان الذى توفى سنة ٩٣٠ق.م وبحكم البابليين والفرس واليونان والبطالمة والرومان لم تطله يد التخريب والإبادة، الأمر الذى يشكك فى وجود هيكل أصلا بل وفى مصداقية ما جاء



فى التوراة بشأنه، إذ كيف يتأتى أن يكون ثمة هيكل قد دمــر علــى نحو ما ورد فى الكتاب المقدس – ســفر الملــوك الثــانى ٢٤: ١٣، ٢٥وما بعدهما، وإرميا ٥٢: ٣٠ – وهو فى مكان المسجد الذى ظل طوال هذه المدة وسيظل شاهدًا على كذب وادعــاءات اليهــود فــى زعمهم أن الهيكل المزمع بنائه الآن من جديد، يقع أسفله أو بجواره، أو حتى فى محيطه؟، إن الجواب المتعقل يقضى بأن لو كان الأمــر على نحو ما يدعون لتم تخريب الأقصى هو الآخر لوقوع الهيكل فى أسفله كما يُدعى أو حتى فى زمام البلاد التى طالها التدمير، وبخاصة مع ما قيل من أن آخر تدمير لحق المدينة كان بعد مــيلاد المــسيح بــ ١٣٨عامًا أى قبل تشريف النبى ﷺ له وللبقعة المباركة من حوله بزمن ليس بالبعيد.

١٢- وحين هاجر صلوات الله وسلامه عليه إلى المدينة عقــد بعد الهجرة مباشرة عقدًا مع يهودها أقرهم فيه على دينهم وأمــوالهم وشرط لهم واشترط عليهم، فلو كان هناك هيكل بحق كما يزعم يهود عصرنا لما خفى ذلك عن أســلافهم ممــن عاصــروا رســول الله وساكنوه، بل ولطالبوه ﷺ به – وهم فى هذا أصحاب باع طويــل – ولأثبتوا أحقيتهم له أو لنصوا على الأقل على ملكيــتهم إيــاه إن لــم

يتظاهروا بشأنه ويحتجوا على ذهابه إليه، لاسيما وقد عرفوا بإسرائه إليه ومعراجه منه إلى السماء، منازعته إياهم فيه.

١٣- ثم إن النبى محمد ﷺ كان يكره التشبه باليهود والنصارى حتى قال قائلهم: إن محمدا لم يدع لنا شيئًا نحن عليه إلا وخالفنا فيه، فهل يعقل أن يحط رحل النبى ﷺ ليلة الإسراء فى موضع كان فى يوم ما هيكلا، تتنافى رسالته مع رسالة المسجد الذى بنى عليه وفى ذات المكان الذى اعترف اليهود – قبل وبعد تحويل قبلة المسلمين إلى الكعبة – بأنه قبلتهم فى صلاتهم مع علمهم واعترافهم كذلك بأنه ﷺ وصحابته ما كانوا يتجهون فى صلاتهم أيضًا إلا إلى المسجد الأقصى؟.

١٤- وعند فتح المسلمين لبيت المقدس سنة٦٣٦ من الهجرة وإعطاء عمر وثيقة الأمان لأهلها تضمنت الوثيقة: "ألا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود"، فلو كان هناك هيكلا كما يزعم يهود الشتات لنص عمر عليه فى هذه العهدة الشهيرة ولأمّنه باعتباره مكانًا مقدسًا، إذ هو عينه الذى أمن النصارى على كنائسهم وصلبانهم، وهو عينه الذى رفض أن يصلى فى كنيسة القدس عندما دعاه مطرانها لذلك، خوفا من أن يتخذ المسلمون ذلك ذريعة لأن يستولوا عليها ويحولونها بعدئذ إلى مسجد، بحجة أن عمر صلى فيها.



١٥- لقد صرح (جوستاف لوبون) فى كتابه (حضارة العــرب) أن ما يسمى بالهيكل ما هو إلا أكذوبــة، كمــا صـــرح الكاردينـــال (اسطفانوس الأول) بطريريك الأقباط الكاثوليك فى جريـــدة الأهـــرام المصرية يوم الجمعة ٢٢:٨ :١٩٦٩م – أى عقب إحـــراق اليهـــود للأقصى فى ١٢:٨ :١٩٦٩م الذى أدانه مجلس الأمن بـــالقرار رقـــم ٢٧١فى ١٥:٩ :١٩٦٩م – مستنطقًا ما ذكرناه فى الأســـطر القليلـــة الماضية بأن "إحراق إسرائيل للمسجد الأقصى تحـــد لكـــل النبـــوات والكتب المقدسة"، وأردف يقول:

"إذا كان اليهود لا يؤمنون بذلك فليرجعوا إلى التاريخ، وليروا مـــا صنعه أجدادهم فى عهد الإمبراطور (بوليانوس) الذى بنـــى عـــام ٦٢ م إيلياء على أنقاض مدينة القدس، لقد حاولوا إعادة بنـــاء هيكـــل ســـليمان فهبطت ألسنة النار وزلزلت الأرض وأزالت كل ما صنعوا "[١].

١٦- إن الفكرة الصهيونية السياسية التى نادى بها (ليوبنـــسكر) الطبيب اليهودى الروسى سنة١٨٨١م والتى تنادى بوجـــوب تهجيـــر اليهود من المجتمعات التى يعيشون فيها إلى إقليم يمتلكونه ليكوّن أمة يهودية، وتبعه فيها هرتزل الذى رشّح لتحقيق هـــذا الغـــرض أرض فلسطين باعتبارها الموطن الأصلى لهم، ولهم – على حد زعمـــه –

---

(١) المسجد الأقصى للشيخ عبد اللطيف المشتهرى ص ٨٣.

الحق الشرعي في أن يعودوا إليه.. هذه الفكرة وإن أفلحت بفضل مسايرة الانتداب البريطاني لتدعيم هذا الاتجاه، إلا أنها حملت في طياتها الزيف والكذب والزور والبهتان.

ذلك أن الكثرة الغالبة من اليهود الذين نزحوا إلى فلسطين في العصور الحديثة، لا يمتّون بأدنى صلة ليهود فلسطين القدماء، ومن ثم فليس لهم حق تحت أي مبرر فيما يغتصبونه من أراضي الغير إن صح الزعم بأن ليهود فلسطين حق شرعي أصلا في تلك الأراضي المقدسة، ولاسيما أن أولئك النازحين ينتمون إلى أجناس غير سامية اعتنقت اليهودية في فترات متباينة عبر التاريخ.. فقد كان من اليهود الذين طردهم الملك الكاثوليكي (فرديناند) من أسبانيا ليستوطنوا أرض فلسطين، كثير من المواطنين الأسبان الذين تهودوا وانتشروا في إيطاليا وفرنسا والشرق الأوسط، ومثل ذلك يقال عن يهود طائفة (الأشكيناز) وهم يهود شرق أوروبا ووسطها، فهم أحفاد الخزر الذين عاشوا في جنوب روسيا واعتنقوا الديانة اليهودية في القرنين السابع والثامن الميلاديين، بل إن معظم الصهاينة أوروبيون وليس هناك أي رابط عضوي بين أجداد هؤلاء جميعًا وبين الأسباط [1].

١٧- ومن الأمور الثابتة كذلك أن الرسول ﷺ أوقف في أرض الخليل أول وقف، وجعله للصحابي الجليل (تميم بن أوس) الداري،

---

(١) ينظر: القدس عربية إسلامية د.فرج راشد ص ٢١٦.



وقد عرف هذا الوقف حتى الآن بالوقف التميمى نسبة إليــه.. كمــا أوقف الخليفة عمر بن الخطاب وقفًا آخر فى جبل أبى غنيم للصحابى الجليل (عياض بن غنم)، وقد عرف هذا الجبل ولا يــزال باســمه.. ومن المعلوم بالضرورة أن الوقف الإسلامى لا يجوز أن يباع ولا أن يشترى، ومن المعلوم أيضًا بالضرورة أن اليهود الذين يجيدون فنون التزوير والتزييف احتلوا هذه الأماكن وادعوها لأنفسهم، كما تبــرع اليهودى (زيمسكوفيتش) بــ ٦٠٠مليون دولار لبناء مــستوطنة فــى جبل أبى غنيم ضاربًا هو وقومه بكل القوانين والــشرائع الــسماوية عرض الحائط، الأمر الذى أثار حفيظة علماء المسلمين فــى أنحــاء المعمورة.

وكان من توصيات المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإســلامية فى ٢٢من ذى الحجة ١٣٨٩هــ الموافق ٢٨من فبرايــر ١٩٧٠م أن بيت المقدس وما حوله إنما هى أرض أوقاف أوقفها المتبرعون منــذ القدم على مصلحة المسلمين، ومن ثم فهى ملك للمــسلمين جميعًــا، واغتصاب شبر منه تحت أى مبرر يفرض عليهم الــسعى لتحريــره لاتفاق أهل العلم على (أن شبرًا ديس من أرض المسلمين بالمــشرق وجب على أهل المغرب أن يسعوا لاسترداده)، وأكــدت التوصــيات على (أن الجهاد بالأموال والأنفس أضحى فــرض عــين).. وأنــه

وباعتبار (أن الأرض المقدسة والقدس الشريف والمسجد الأقصى ملك للمسلمين كلهم، فإنه يتحتم على المسلمين فى كل مكان أن يبادروا إلى تحمل واجباتهم فى الجهاد والعمل على إرسال المجاهدين إلى ساحات القتال)، (ومن يتخلف عن تحمل أعبائه فقد سلك سبيلا غير سبيل المؤمنين).. لكن الخيانة من قبل حكام المسلمين الذين هادنوا أعداء الإسلام وماددوهم لأكثر مما أجمع عليه أهل العلم – من ألا تكون المهادنة لأكثر من عشر سنوات – ونصبوا حروبهم ضد المجاهدين، حالت دون إتمام هذه الصفقة مع الله، وأبت أنظمتهم ولا تزال إلا أن تسلك غير سبيل المؤمنين، فإلى الله وحده المشتكى وإنا لله وإنا إليه راجعون.

١٨ – فإذا ما أضفنا إلى تلك الأدلة أن أول من بنى مدينة القدس منذ ثلاثين قرناً قبل الميلاد، هم اليبوسيون وهم من العرب القدامى على ما جاء التصريح به فى سفر إرميا ٢٥: ٢٤، ونصه: "وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين فى البرية".. وسفر حزقيال ٢٧: ٢١ وفيه: "العرب وكل رؤساء قيدار.. فى هذه كانوا تجارك".. وسفر أخبار الأيام الأول ١١: ٤ وفيه: "وذهب داود وكل إسرائيل إلى أورشليم أى يبوس وهناك اليبوسيون سكان الأرض".. وسفر أخبار الأيام الثانى ٩: ١٤ونصه: "وكل ملوك العرب وولاة الأرض كانوا يأتون بذهب وفضة إلى سليمان". وسفر يشوع١٥: ٦٣



قال: "وأما اليبوسيون الساكنون فى أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا فى أورشليم إلى هذا اليوم"..

إلى غير ذلك مما يكشف من النصوص التوراتية ذاتها عن حقيقة أن القدس (يبوس)، هى مدينة العرب اليبوسيين.. وأنهم الذين أقاموا وتعاقب على حكمهم فيها ملوكهم، دون أن يشاركهم فى سكناها أحد من بنى إسرائيل.. وأنها كما وصفها سيد الغلام الإسرائيلى بالنسبة إليهما – ولكل إسرائيلى من باب أولى – (مدينة غريبة).

١٩- وأضفنا إلى كل ذلك أن الحفائر الأثرية التى جرت حول المدينة، كشفت أنه فى العصر البرونزى ٢٦٠٠-١٨٠٠ق.م كانت المنطقة وما حولها عامرة باليبوسيين.. وأن الفتح الإسلامى جاء والمدينة خالية تمامًا من اليهود لأنها كانت محرمة عليهم، وهم من بعد موسى ومن بعد الغزو البابلى والرومانى، قد قطَّعهم الله فى الأرض أممًا، ومزّقهم كل ممزق.. وأن وجودهم المتقطع على مدار هذه الفترة كان وجودًا طارئًا لم يقم لهم خلاله – على ما سبق تقريره – ملك ولا دولة.

تأكد لنا عدم أحقيتهم لا فى مدينة القدس فحسب بل ولا فى أى شبر من أرض فلسطين.. وأصبح لزامًا على كل مسلم أن يَطَّلع بدوره فى السعى الدائم لأن تظل هذه القضية ساخنة ومحور اهتمامه،

وفى عدم الرضوخ لما يسمى بسياسة الأمر الواقع وعدم المبالغة فى وصف قوة العدو والإعداد له بكل ما أوتى من قوة ورفض التطبيع معه، وفى استشعار الهم واستثمار وحشد كل الطاقات لخدمة هذه القضية، وبث روح الأمل والتفاؤل، وتمنى الشهادة فى سبيل الله، والعمل على تربية جيل يعرف هذه الحقائق..

وأن يستحضر معنى ما جاء فى قوله تعالى: **﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد* متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾** (آل عمران:١٩٦، ١٩٧)، وقوله: **﴿هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين﴾** (الحشر:٢)..

وعرفنا إلى جانب ذلك، أن ما فعله عمر عشية تسلم مفاتيح بيت المقدس – حين اشترط عليه أهل إيلياء وأقرهم على ذلك بطريرك القدس ألا يسمح لليهود بدخولها أو الإقامة فيها – لم يأت من فراغ، وازداد يقيننا بوجوب أن يظل العهد العمرى محترمًا ومعمولا به لأن



المسلمين مأمورون أن يتبعوا سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ولا ريب أن عمر أحدهم[1].

وعلى مسيحي العالم أيضًا حيال ما فعله قساوستهم، أن يثبتوا فورًا وعلى الملأ ولاءهم لهم، فيمضوا ما عاهد عليه أسلافهم – وفي المقدمة منهم بطريركُ بيت المقدس (صفرنيوس) – أميرَ المؤمنين عمر، في عدم مساكنة يهود الشتات للمسلمين العرب أصحاب الأرض في هذه البقاع المقدسة بالذات، فليس من المعقول أن يشترط بطريرك بيت المقدس على عمر ألا يسكن بهذه البقاع المقدسة يهودي وتظل خالية منهم منذ عهد عمر وحتى خلافة السلطان عبد الحميد العثماني، ثم نرى نصارى هذا العصر هم الذين يسعون بكل ما أوتوا من قوة لنقض ما أبرمه كبراؤهم ولتمكين اليهود من القدس.

وقد تمثل ذلك بوضوح: في وعد بلفور سنة ١٩١٧م، ثم في تمكين بريطانيا إبان فترة الانتداب على فلسطين لليهود من الهجرة

---

(١) ولاسيما مع ما جاء في عهدة أهل إيلياء التي أعطاها عمر للبطريرك، وفيها: "وعلى ما في الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين"، كما جاء في آخر الوثيقة التي حررها عمر للبطريرك في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ١٥هـ،٦٣٦م يعني بعد إقرار الأخير لما أقر به أهل إيلياء: "وكل من قرأ مرسومنا هذا من المؤمنين وخالفه من الآن إلى يوم الدين فليكن لعهد الله خائنًا ولرسوله ولكتابه باغضًا".. كذا هو في تاريخ الطبري ٣:٦٠٩ أحداث سنة ١٥هـ.

إليها وتشجيعها الميلشيات اليهودية كالأرجون، وعصابة شتيرن بقيادة (بيجن) و(شامير) على بث الرعب والإرهـاب وإهـلاك الحـرث والنسل فى القرى والمدن الفلسطينية.. كما يتمثـل الآن: فـى قيـام أمريكا بالدفاع عن اليهود، وعن ممارساتهم المنافية لأبـسط مبـادئ الإنسانية ضاربة بجميع العهود والمواثيق الدولية عـرض الحـائط.. وتمثَّل كذلك فى تلك الدعوات المدمرة والمريضة والقائلـة بالتأهـب لحرب إبادة لجميع معالم الحضارة والتاريخ الإنـسانيين، اسـتعجالا لعودة المسيح وفق المضمون الأسطورى لمعركة (هرمجدون) التـى اخترعها القس (جيرى فولويل) وزيف لأجلها الواقع الثابت والحقيقـة اليقينية للمسيح رسول المحبة والسلام، مقابـل مـا قدمتـه وتقدمـه إسرائيل له من مزايا ورشاوى، والتى يقودهـا هـو وأتباعـه مـن نصارى الغرب من أمثال (لينديسي) و(بـات روبرتـسون) و(جـون هاجي) و(كين بـوغ) و(جـاك فـان إيمـب) و(تـشارلز تـايلور) و(ستيوارت) و(راى برد بيكر) و(بول كـراوش) و(جـيمس سـي روبسون) و(لويس بالاو) و(هيبربرت أرمسترونج) وغيرهم ممن ذيع صيتهم ووجدوا لدعاويهم الباطلة والكاذبة آذانًا صاغية مـن عامـة نصارى الغرب، بل لحد أن صوَّت عليها أكثر من نصف الأمريكيين حسب استطلاع للرأى أجرته مجلة (التايم) سنة ١٩٩٨م.



ولعلنا ندرك الآن أكثر من أى وقت مضى أن دين الله الخاتم يحتم على المنتسبين إلى محمد وإسماعيل عليهما السلام والراغبين فى ملة أبيهم إبراهيم، أن يحرروا تلك البقاع المباركة باعتبارهم وحدهم أصحاب الحق الشرعى والتاريخى فيها، والمؤتمنين عليها، وبخاصة أن التاريخ يشهد ولا يزال سيل الفظائع التى يرتكبها معشر يهود فى حقها وفى حق أصحابها المقيمين بها، كما يشهد ما أصابها عندما احتلها الصليبيون من قبل وقتلوا وذبحوا فيها وفى مسجدها – باسم المسيح نبى الرحمة والمحبة الذى هو منهم براء – ما يقرب من السبعين ألفاً من المسلمين دون تمييز بين شيخ أو امرأة أو عالم دين أو طفل أو مقاتل، وبقيت ترزح تحت أيديهم تسعين عامًا أهلكوا خلالها الحرث والنسل[1] إلى أن حررها القائد المسلم صلاح الدين عام ١١٨٧م.

(١) ينظر بشاعة ما أحدثه أولئك الذين أخفوا حقدهم وراء الصليب فى المسلمين ومقدساتهم وبلادهم: تاريخ الحروب الصليبية لـ (ستيفن رنسيمان) والكامل فى التاريخ لابن الأثير ٢٨٣:١٠-٢٨٤، والقدس عربية د.فرج راشد ص ١٨٤وما بعدها، والصراع بين العرب وأوروبا د.عبد العظيم رمضان ص٣٢١ وما بعدها، والغريب أن يحدث ذلك منهم فى حين تركهم خليفة المسلمين عمر بن الخطاب وما يدينون، وصان لهم حريتهم وكرامتهم وحرماتهم، لكن نظلم الإسلام إن نحن قسناه بغيره أو قارنا رموزهم بسواهم.

الحقيقة العاشرة

عاجل مستقبل أرض الميعاد وآجله يحدده الشرع الحنيف وسنن الله الكونية .. لا أمزجة البشر

انتهينا فيما سبق إلى أن موقع النزاع الآن بين بنـي إسـرائيل وبنى إسماعيل على تحقيق وعد الله لا محل له، لأن هذا الوعـد قـد قضى الله فيه بأمر، فقد قضى سبحانه ضمن ما قضاه: ألا حق لبنـي إسرائيل فى هذا الوعد بعد بزوغ فجر الإسلام، لا لأنه كان موقوتـا بمدة معينة انتهت وفقط.. ولكن لأنهم – مع ذلك وفى أثنـاء مـدتهم وفترة تحقق موعود الله فيهم – تعدوا حدود اللياقة مـع الله ورسـله، فاحتالوا على محارم الله وخالفوا وصاياه وشريعته، واجترئوا علـى أنبيائه والصلحاء من عباده.

ولو أنهم استقاموا على الطريقة، لظل موعود الله لهـم ومعهـم إلى أن أسلموه إلى أبناء أعمامهم عن طواعية اقتداءً بحال أنبيائهم مع نبينا ليلة الإسراء، بل ولما سلط الله عليهم ومن قبل ذلك بزمن طويل وإلى يوم القيامة من يسومونهم من كل أمة سـوء العـذاب.. ولكـن لمكرهم وكيدهم، آثروا البلاء والكفر والتعاسة والشقاء على سواهما.

يقول ابن كثير فى تفسير قول الله تعالى **﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العـذاب﴾** (الأعـراف: ١٦٧):



"إن موسى عليه السلام ضرب عليهم الخراج سبع سنين وقيل ثــلاث عشرة سنة وكان أول من ضرب الخراج، ثم كانوا فى قهر الملــوك من اليونانيين والكشدانيين والكلدانيين، ثم صاروا إلى قهر النــصارى وإذلالهم إياهم وأخذهم منهم الجزية والخــراج، ثــم جــاء الإســلام ومحمد ﷺ فكانوا تحت قهره وذمته يؤدون الخراج والجزية"(١).

إنه الملخص الأمين والشديد الإيجاز لتاريخهم الحالك السواد.. لقــد ذهب وعد بنى إسرائيل – بعد أن كثر فيهم الخبث وافتقد فيهم الأمل – إلى غير رجعة. وإذا كان حال أكثرهم مع موسى هو ما ذكرنا، فقد **﴿فخلــف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عــرض هــذا الأدنــى ويقولــون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتــاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه﴾**(الأعراف: ١٦٩).

والخَلْف بسكون اللام يطلق على الطالح من الأجيال خلافًا لمــا كان منها بالفتح.. وهذا ما كان بالفعل – وبخاصة من الأجيال التــى تلت جيل أصحاب السبت التى جاءت الآية عقب ذكر قصتهم، وتلــت عصر تمكينهم وتجمعهم، أقصد: عصر حكم القُضاة الــذى اســتمر قرابة المائتى عام، وحكم الملوك الذى طال شاؤول (طــالوت) وداود وسليمان عليهما السلام، والذى استمر زهاء المائة عام كانت الــبلاد تحت يد أصحابها من العرب – فلقد ورثوا التــوراة عــن أســلافهم

---

(١) تفسير ابن كثير ٢:٢٦.

يفسرونها بأهوائهم ويقرءونها ولا يعملون بها، ولم يكتفوا بهذا حتــى راحوا بما فيهم علماؤهم وقضاتهم، يغيرونها ويبــدلونها ويحرفونهــا ويهونون العمل بأحكامها مقابل الرشا والسحت.. وصار مثلهم فــي استخفافهم بشرع الله وإصرارهم واستمرارهم على ما هم عليه، وبعد تركهم ما أخذ الله عليهم من مواثيق عن عمد وعلم كما قال تعــالى: ﴿كمثل الحمار يحمل أسفارًا ﴾ (الجمعة:٥).

ولقد وصل الأمر بهذا الخلف الممتد ليوم القيامة، إلى أن يعظــم فساده كلما تقادم الزمان على الرغم من أنه ورث التوراة عمن سبقه، وإلى أن يصير حاله على الدوام أسوأ من حال مــن ســبقه، بحيــث أضحى وكلما لاحت له معصية واقعها ولا يبالي، وأن يعتاض عــن بذل الحق ونشره بعرَض الحياة الدنيا، وما اتّبَاعه – فى هذا الزمان – كل الوسائل الرخيصة فى تحقيق مآربه وانتهاجه مبدأ الغاية تبرر الوسيلة إلا دليل صدق على ذلك، ناهيك عما جبل عليه من عنصرية تجسدت فى الاعتداء على الآخرين بعد هدم منازلهم وإخراجهم مــن ديارهم بغير حق واستحلال أموال ودماء الغير وتعطــش لانتهــاك حرمة هذا الغير دون مراعاة لأية مبادئ أو قيم، وقد شاءت إرادة الله أن تنكشف (بروتوكولات حكماء صهيون) لتبــدى حجــم المــؤامرة الجهنمية التى اجتمع لها وأجمع عليها أبالسة الأرض، والتى تهــدف إلى إفساد العالم وانحلاله لإخضاعه فى النهايــة لمــصلحة اليهــود ولسيطرتهم دون سائر البشر.



كما شاءت إرادته سبحانه، أن ينكشف مـا اعتبـروه تفسيرًا للتوراة وأوجبوا العمل به، وقدموه حتى على التـوراة نفسها فيما أسموه بـ (التلمود)، ومن هذه الظلمات التى غص بها هذا الكتـاب: أن اليهودى أحب إلى الله من الملائكة، إذ الذى يصفع اليهودى كمن يصفع الله، ولأنه الشعب المختار فإنه يستحق وحده الحياة الأبدية أما الشعوب الأخرى فمماثلة للحمير.

لأجل ذلك كله – وغيره كثير – استحق هذا الخلـف وبموجـب سنن الله الكونية فى إهلاك من كثر الخبث فيهم ولا يتناهون عن منكـر فعلوه، وعيده لا وعده.. حيث يقول سبحانه: **﴿وإذ تـأذن ربـك ليبعـثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم* وقطعناهم فى الأرض أممًا﴾** (الأعـراف:١٦٧- ١٦٨)، إذ أنى لقوم هذا حالهم أن تقوم لهم قائمة أو تقام لهـم دولـة، اللهـم إلا إذا تساووا مع عدوهم فى المعصية، فحينذاك تظل لهم الغلبة لكونهم وحسب ما تقضى به قوانين الحياة المادية أكثر عدة، ولأنهم وبأشـياعهم وبمـن سيطروا على عقولهم أكثر عددًا.. وفى ذلك يقول عـز جـاره وعظـم سلطانه: **﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلنـاكم أكثر نفيرًا* إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعـد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرًا﴾** (الإسراء:٦-٧).

لقد أوضح الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣:٢٦)، أن المراد بقوله: (فإذا جاء وعد الآخرة): "أي أفسدتم الكرة الثانية"، كما ذكر ذلك الآلوسي في (روح المعاني) من المجلد التاسع، وفيما ذكراه ما يؤكد ربط الإفسادة الثانية بالكرة الثانية وربط الأخيرة بقوله: **﴿جئنا بكم لفيفًا﴾** (الإسراء: ١٠٤) وربط ذلك كله بما يحدث لليهود الآن.

وبموائمة ما ذكره الحافظ والآلوسي وغيرهما، مع ما جاء في صدر السورة من قوله سبحانه: **﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرًا﴾** (الإسراء: ٦).. بضميمة كل ذلك إلى الوعيد المترتب على الإفساد في قوله: **﴿لتفسدن﴾** (الإسراء: ٤).

والتعبير عن الإفساد بالمضارع وباللام الموطئة للقسم والممحضة لوقوع ذلك في المستقبل، يعني – فيما ترجح لدينا – بعد نزول الآية وتحول الموعود عنهم لتكون الحجة لهم ألزم وأدوم إلى قيام الساعة وتحقيق قوله: **﴿وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا﴾** (الإسراء : ٨).. وإطلاق لفظ **﴿عبادًا لنا﴾** (الإسراء: ٥) الذي ليس ثمة أولى وأحق بالوصف به من النبي ﷺ وصحابته الذين على أيديهم قامت خلافة الله الراشدة، وكذا من ستعاد تلك الخلافة على أيديهم قرب الساعة حيث يتجمع سبعون ألفًا من اليهود تحت إمرة الدجال.



كل ذلك يُظهر بوضوح أن الإفسادة الثانية هي: المتمثلة الآن فيما يقع لليهود من علو وهيمنة[1]، ومن تبنيهم للنظام الربوى العالمى ونشرهم للنوادى المخربة للعقائد، ومن إشاعة لروح الفوضى

---

(١) وتأتى فى إطار هذه الهيمنة سعى يهود دائمًا للانفراد بالسلاح النووى وتأبيها التوقيع على معاهدة حظر الأسلحة المحرمة دوليًا، وسعيها كذلك للسيطرة على العالم كله لـ "تكون هى الأمة المتسلطة على باقى الأمم عند مجيء المسيح" الدجال على حد عبارة التلمود، وهم لأجل ذلك يسعون لاحتلال العقول قبل احتلال الأرض، ويديرون حروبهم بالوكالة، وقد هُيئ لهم ذلك حتى مع أعظم قوى الأرض وحتى أصبح حكام أمريكا وأوربا بلا استثناء دمىً فى أيديهم وأشد حرصًا على تحقيق أحلامهم وأهدافهم ربما أكثر من اليهود أنفسهم.. ويكفى أن نعرف لإثبات ذلك: أن أمريكا – حتى تاريخ مطالبة فلسطين المجتمع الدولى للاعتراف بالدولة الفلسطينية فى ٢٤: ٩: ٢٠١١م التى اعترضت عليه أيضًا – قد أساءت استخدام حق النقض (الفيتو) لصالح إسرائيل ٣٦ مرة، وكان ضمن هذه المرات: الامتناع عن إدانة إسرائيل لقتلها الشيخ القعيد أحمد يس، وبنائها المستوطنات على أرض فلسطين المحتلة، واعتداءاتها المتكررة على المسجد الأقصى والمصلين فيه، وقتلها الأبرياء من النساء والأطفال في مذبحة غزة.. ناهيك عن تصريحات القادة الأمريكان بمساندة إسرائيل قلبًا وقالبًا على حساب الحق العربي: ومن ذلك قول الرئيس كارتر – كما فى كتاب (البعد الدينى فى السياسة الأمريكية) ص ٧٦ د. يوسف الحسن: "لقد آمن سبعة رؤساء أمريكيين، وجسدوا هذا الإيمان بأن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل هى أكثر من علاقة خاصة، بل هى علاقة فريدة، لأنها متجذرة فى ضمير وأخلاق الشعب الأمريكى نفسه".. وقول الرئيس (ريجان): "إننى دائمًا أتطلع إلى الصهيونية كطموح جوهرى لليهود، وبإقامة دولة إسرائيل تمكن اليهود من إعادة حكم أنفسهم بأنفسهم فى وطنهم التاريخى ليحققوا بذلك حلمًا عمره ألفا سنة".. وقول (كلينتون) فى خطابه أمام القيادات اليهودية عام ١٩٩٢م: "إننى اعتقد أنه يتوجب علينا الوقوف إلى جانب إسرائيل فى محاولاتها التاريخية لجمع مئات الألوف من المهاجرين لمجتمعها ودولتها".. وما خطابات بوش خاصة الابن وأوباما ومواقفهما المتعصبة تعصبًا أعمى لإسرائيل، بالتى تخفى على أحد.. وهكذا هو الأمر بالنسبة لزعماء أوروبا.

والخلاعة والمجون والإباحية، ومن انتهاكهم للحريات وإهدارهم للحقوق وسفكهم للدماء، ومن إعلانهم الصريح والجريء للحرب على كل المبادئ والقيم وعلى الإسلام وكتابه ونبيه وأهله، ومن تحريقهم للمسجد الأقصى الأسير والعمل على تخريبه بالحفر أسفله وبحصاره، والتضييق على المصلين بوضع القيود لدخوله ومنعهم من تأدية صلاتهم فيه بحرية.

كما تشير الدلائل إلى أنه سيتحقق عقب إفسادتهم الثانية تلك، وعيد الله بتأديبهم وعقوبتهم وتسليط المسلمين عليهم كما سلطوا عليهم عقب الإفسادة الأولى التى كانت – على ما ترجح لدينا أيضًا – بُعيد البعثة المحمدية وبدءً من كيد بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ويهود خيبر، وهم جملة من انحازوا إلى الحجاز عقيب زمن الاضطهاد الآشورى والرومانى من معشر يهود للإسلام والمسلمين، وبغوا على رسول السلام ونبى الإنسانية ورحمة الله للعالمين ﷺ، وغدروا بمعاهداته.

وفى كلام للشيخ الداعية محمد حسان يقرر فيه ما قررناه، يشير فضيلته إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿**بعثنا عليهم عبادًا لنا**﴾ : "أى بعث الله على اليهود عبادًا له ليسوموا اليهود سوء العذاب.. فالعبودية إن نسبت لله لا تكون أبدًا إلا للموحدين، قال تعالى:﴿وعباد الرحمن﴾ (الفرقان: ٦٣)، وقال تعالى: ﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم**



سلطان﴾ (الإسراء: ٦٥).. والبابليون وثنيون والرومانيون وثنيون وبختنصر وثنى وليس بمسلم، فكيف يقال بأن هؤلاء تنطبق عليهم الآية؟.. إذن من هم عباد الله الذين سلطهم الله على اليهود أول مرة؟ إنهم أصحاب المصطفى ﷺ.. فهم الذين طردوا اليهود من بني النضير ومن بنى قينقاع ومن خيبر ومن بنى قريظة، وأخرجوهم من المدينة، ثم الصحابة هم الذين دخلوا المسجد أول مرة بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، يوم نزل أمير المؤمنين عمر من المدينة ليتسلم مفاتيح بيت المقدس بيده، وليكتب لأهل بيت المقدس من أهل إيليا العهدة العمرية المشهورة.

وها نحن نرى الكرة قد أعيدت لليهود علينا، أى على أبناء أصحاب النبى ﷺ من الموحدين والمؤمنين مصداقًا لقوله تعالى: **﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال﴾**، حيث أمد الله تعالى اليهود بالأموال والبنين بما لم يكن لهم على مدار تاريخهم.. كما أننا نرى أبناء اليهود من كل بقاع الأرض يجتمعون مصداقًا لقوله: **﴿وجعلناكم أكثر نفيرًا﴾**، والنفير: هو نفير الحرب.. ولا أدل على صدق التنزيل هنا، مما يحدثنا به واقعهم المعاصر حيث يمتلك اليهود الآن مائتى قنبلة نووية وتمد أوروبا اسرائيل بكل ما تحتاجه من

سلاح وعتاد.. ويأتينا من وراء ومن بعد كل هذا وعــد نبينـــا ﷺ [1] وهو يضع يده على رأس أبى حوالة الأسدى ويقول: **[يا أبا حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الـــزلازل والبلايـــا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدى هذه مـــن رأسك]**.. ويحق لنا هنا أن نتـــساءل: هـــل تتـــزل الخلافـــة الأرض المقدسة والقدس عاصمة للصهاينة؟"! [2].

وهؤلاء هم رؤساؤهم وكبار أحبارهم يكلمهـــم رســـول الله ﷺ ويقول لهم: **[يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمـــون أن الذى جئتكم به لحق]**، فيجحدوا ويصروا على كفرهم، فينزل فيهم قول الله تعالى: **﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مـــصدقًا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهًا فنردها على أدبارها أو نلعـــنهم كما لعنا أصحاب الـــسبت وكـــان أمـــر الله مفعـــولا﴾** (النساء: ٤٧)، ولا يخفى مواكبة هذه الآية من كتاب الله تعالى وما شاكلها من الآيات التى نزلت فى حقهم مع ما جاء منها فى قوله تعالى: **﴿وقضينا إلـــى**

---

(١) كما جاء فى مسند أحمد وسنن أبى داود والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ٧٧١٥.

(٢) مجلة التوحيد عدد رمضان سنة ١٤٢١ هــ ص ٢٤ باختصار، وينظر كتابه (لا، لن تضيع القدس) ص ٩١، ٩٧ .. وإلى مثل هذا ذهب لفيف من أصحاب الفضيلة العلماء من نحو الشيخ متولى الشعراوى والشيخ عبد المعز عبد الستار وغيرهما.



بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين﴾ (الإسراء: ٤)، من أمر القضاء إليهم فى نفس الكتاب بالإفسادتين.. كما لا يخفى ما فى معنى الطمس الواردة فى آية النساء السالفة الذكر والواردة فى كثير من آى عهدهم القديم، من استئصال الشيء وجعله أثرًا بعد عين، وقد كان.

ولعل ما يؤيد هذا الاتجاه فى تحديد الإفسادتين الواردتين فى صدر سورة الإسراء، ما نراه حاصلًا الآن ومتفقًا مع ما جاء فى قول الله مخبرًا عن نهاية بنى إسرائيل بعد الإفسادة الثانية: **﴿وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفًا﴾** (الإسراء: ١٠٤).

فما التف بنو إسرائيل طوال تاريخهم الطويل بمثل ما التفوا الآن، فقد بدءوا ينسابون على غير عادتهم، إلى أكناف بيت المقدس فى غفلة من المسلمين، وكان تعداد أول من هاجر منهم فى أعقاب سنة ١٨٨٢م – على الرغم من إصدار الحكومة التركية العثمانية قانونًا يحرم على اليهود دخول فلسطين – خمسًا وعشرين ألف مستوطن، أضيف إليهم خمسون ألفًا من اليهود الأوروبيين تسللوا سنة ١٨٩٥م تحت جنح الاستعمار الإنجليزي.. حتى ارتفع عددهم بعيد وعد بلفور سنة ١٩١٧م إلى ٣٠٠ ألفًا يعنى بما يعادل ١٠ % من

نسبة سكان فلسطين على مسافة تقدر بـ ٢% من مساحتها.. ثم إلى ٤٠٠ ألف عام ١٩٣٦م، ثم إلى ٦٥٠ ألفًا على مساحة تقدر بـ ٨٠% من أرض فلسطين بعد أن تم تشريد ٨٠٠ ألف من سكانها عام ١٩٤٨م، وتتابعت فيما بعد الهجرات من كل أنحاء العالم حتى أربى عددهم الآن إلى الخمسة ملايين من أكثر من سبعين جنسية ومن مجموع عشرين مليون هم إجمالى يهود العالم فى أصقاع الأرض.

استُقطب هؤلاء جميعًا فى زمن قياسي، واستوطنوا البلاد بعد أن أخرجوا منها أهلها بغير حق، وأنشئوا فيها المدائن والمدارس والمصانع، وراحوا "ينفثون سمومهم فى أرجاء الأرض ليدمروها ويحتلوها ليتوجوا الدجال – المسيح الأعور – لأورشليم القدس"[1]، مستعدين فى تحقيق ذلك بما أوتوا من الآلة العسكرية والقوى التدميرية والهيمنة السياسية والاقتصادية ما لم يؤتوه من قبل، وبما يفوق الوصف والخيال مصداقًا لقول الله تعالى: **﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرًا﴾** (الإسراء:٦)، وليكونوا بعد ذلك هدفًا للإهلاك والتدمير على يد عبادٍ لله، يسلطون عليهم فيقهرونهم ويجبهون وجوههم بالمساءة والمذلة ويجوسون خلال ديارهم وأموالهم، ويدخلون المسجد الأقصى ويحررونه .

(١) (نهاية اليهود) لمحمد عارف ص ١٨.



ومما يشعر بطعم الراحة وبرد اليقين، أن هذا العداء والإفساد اللذين يصدران عن بنى إسرائيل ويُحدثانه، وبخاصة ما يقع منهما فى أرض المعراج، شرطان ضروريان لكى يتحقق وعيد الله فيهم وينزل بهم عقابه وعذابه.. أما الإفساد فى الأرض الذى لم يقع لهم إلا بعد علو وتمكين يمكّناهم من قهر عدوهم وتدمير حياته بصورة يجد المغلوبين على أمرهم – من أصحاب الحق والأرض – أثرها ألمًا فى نفوسهم ومرارة فى حلوقهم، فهو ما وقفنا على بعض مظاهره.. وأما العداء والتعدى المستوجب لحتمية المواجهة، فهذا يشعر به أهل الأرض جميعًا، لكونه باديًا للعيان وظاهرًا لكل ذى عينين كالشمس فى رابعة النهار.

ومن الأدلة المنبئة بحدوث المواجهة بين هذه القوة الغاشمة وبين أهل الإيمان الذين يؤمل ويُرجى أن يتحقق على أيديهم وعلى يد أخلافهم وأضرابهم من أهل دمشق والشام بمشيئة الله، وعد الله بالنصر والتمكين – على الرغم من كل ما ذكرنا من هيمنة عدوهم – ما أخرجه البخارى ومسلم عن ابن عمر من قوله ﷺ: **[تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول الحجر: يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله]**[1]، وقد حدث – وأيم الله –

(١) الحديث أخرجه فيمن أخرجه البخارى فى كتاب المناقب ٦١ وباب علامات النبوة ٢٥وكتاب الجهاد باب قتال اليهود ٢٩٢٥، ٢٩٢٦ومسلم فى كتاب الفتن (٢٩٢٢) وأحمد ٢: ٤١٧، ٥٢٠.

ما تنبأ به وأنبأ عنه رسول الله ﷺ الذى **﴿ما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحى يوحى﴾** (النجم:٣، ٤)، فقد طالعتنا مجلة الأزهر فى عددها الصادر فى ربيع الآخر لعام ١٤٢٤هـ الموافق لشهر يوليو لسنة ٢٠٠٢م نقلا عن جريدة (آفاق عربية) المصرية بتاريخ ٩: ٥ :٢٠٠٢م من حديث للشيخ أحمد ياسين - عليه رحمة الله - عبر الهاتف موجهًا كلمته لمؤتمر نقابة الأطباء الرابع بمحافظة الغربية إحدى محافظات مصر، وسمعه مئات الحاضرين: "إن بشائر النصر قد رأيناها بأعيننا، حيث إن رجال المقاومة فى (رام الله) ظلوا يطاردون أحد المستوطنين حتى اختفى عن أعينهم خلف الأشجار، فأنطق الله الشجر وقال لهؤلاء الأبطال: (هذا اليهودى ورائى)، ويذهب الشباب إليه خلف الشجرة ويقتلونه".. ثم يختم الشيخ كلامه قائلًا: "إنه حديث رسول الله ﷺ".. ولا غضاضة ولا غرابة إن رأينا ذلك يتكرر مرة بعد مرة.

وإلى أن يحدث ذلك فتُخرج هذه الأمة من بين ظهرانيها **﴿عبادًا لنا أولى بأس شديد﴾** (الإسراء:٥)، وأناسًا أقوياء من أهل السنة يتجردون للحق قولًا وعملًا، فيجوسون خلال الديار ويحققون موعود الله ونصره - الآن لا محالة - وتكون خلافتهم على منهاج النبوة . فسيظل الصراع مستمرًا إلى يوم القيامة بين قوى الشر وقوى الخير التى لن تعدم على أى حال جنودًا يكونون على الإسلام والسنة،



يجتهدون فى معرفة الحق ويعملون فى الوصول إليه ويجاهدون فـــى سبيل الله ما وسعهم الجهد.

وباختصار فإن استعادة الخلافة يتأتى لمن تتحقق فيهم صـفات أهل التمكين التى جاء ذكرها فى نحـو قـول الله تعـالى: **﴿يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾** (المائدة: ٥٤)، وقوله: **﴿أشداء على الكفـار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلا مـن الله ورضـوانًا﴾** (الفتح: ٢٩).. ويكونون ظاهرين على الحق على النحو الذى ورد فـى قوله ﷺ فيما رواه أحمد والطبرانى بسند رجاله ثقات عن أبى أمامة: **[لا تزال طائفة من أمتى على الـدين ظـاهرين لعـدوهم قـاهرين لا يضرهم من جابههم إلا ما أصابهم من لأواء – أى مـن أذى – حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك، قيل: يا رسول الله، وأيـن هـم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس]**[1].

ويحدونا ما سبق سرده، إلى أن نذكر بمـا جـاء فـى السنة المطهرة مشيرًا إلى محق الباطل وأهله ضمنًا، وإلى أن نبشر بتحقيق موعود الله لهذه الأمة صراحة على نحو ما ورد فى قولـه ﷺ فيمـا أخرجه مسلم (٢٨٨٩) عن ثوبان: **[إن الله زوى لى الأرض فرأيـت**

---

(١) الحديث وبنحوه رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة والدارمي.

مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها]، وقوله فيما أخرجه أحمد في مسنده (١٧٠٨٢) وابن حبان (١٦٣١، ١٦٣٢) وكذا الطبراني والحاكم والألباني في الصحيحة رقم٣ (١:٧) عن تميم الداري: **[ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مَدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذُل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام وذلًا يذل الله به الكفر].**

والله نسأل أن يستخلفنا لدينه ولا يستبدلنا، وأن يجعلنا ممن يُعز بهم الإسلام وأن يلحقنا بمن في أكناف بيت المقدس ممن هم ظاهرون على الحق وأن ييسر لنا سبل الوصول إليهم، وأن يجمعنا وإياهم في الدنيا على محبته ورفعة دينه وإقامة خلافته، وفي الآخرة في مستقر رحمته.. اللهم آمين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخاتـــمــة

يحق لنا بعد كل ما تقدم أن نقول بكل ثقة ويقين مـــرددين مـــا ذكره د. أحمد عصام البشرى المفكر الــسودانى وعــضو المجلــس الوطني، فى مجلة القدس العدد ٢٤ص ٦:

إن الحق التاريخى لليهود فى أرض فلــسطين، والـــزعم بـــأن إسرائيل ما جاءت لتحتل أرضًا بل لتسترد حقًا، فرية شوهاء وكذبـــة بلقاء لا تقوم على ساق ولا تنهض بها حجة، وهى أوهى مـــن بيـــت العنكبوت، كما أن القول بأن لليهود حقًا دينيًا فى فلسطين بدعوى أنها تُعد الآن امتدادًا لمملكة داود التى قامت فى القرن العاشر قبل الميلاد، لا يقوى أمام التحقيق العلمي، وكذا ما استطاعوا أن يُؤثِروا به علـــى الغرب المسيحى من الاعتقاد بأن عودة المسيح مرهون بتجميع اليهود فى أرض فلسطين، والإعلان بأن تأسيس الكيان الــصهيونى تحقيـــق للنبوءة التوراتية التى تقول: " إن الله وعد إبراهيم (بأن يعطى نــسله أرض فلسطين. وكذلك وعد ابنه إسحاق وحفيده يعقوب..)".. كل ذلك وهم كبير، ذلك أن **﴿ أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبـــى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين﴾** (آل عمـــران:٦٨).. كما أن الإمامـــة لا تنتقل بالوراثة وإلا شابها الجور والظلم الذى لا يرضى عنـــه رب العزة القائل لإبراهيم عندما **﴿قال ومن ذريتي؟﴾** طالبًا إياهـــا لبنيـــه

ولبنى بنيه من بعده، فكان الجواب من الله ﴿ **قال لا ينال عهدى الظالمين** ﴾ (البقرة:١٢٤).

وأضيف أن ادعاء يهود للحق الدينى فى أرض الميعاد إنما تبخر جراء مواقفهم المتمردة على أوامر الله وفعلهم الشر فى عينى الرب وإغاظته، وبارتباط أكثر من ألف مليون مسلم الآن وأضعاف ذلك من قبل ومن بعد إلى قيام الساعة، بمنتهى مسرى نبيهم ﷺ ومفتتح معراجه إلى سدرة المنتهى، كما تبخر ادعاؤهم بحقهم التاريخى بأسبقية العرب فى هذه البلاد بألفى عام، وبغربتهم عن هذه البلاد منذ وقت امتلاكهم لها أيام داود كما جاءت بذلك نصوص التوراة[1] ، وإلى زوال دولتهم على أيدى الآشوريين والبابليين وهى فترة لا تزيد فى جملتها عن مائة عام، والتاريخ وعموم الكتب المقدسة تشهد أنهم عاشوا فيها غرباء، كما تشهد وتسجل أنهم عندما دخلوها لم يجدوها فارغة وعندما رحلوا عنها لم يتركوها فارغة، لقد كان فيها أهلها الفلسطينيون (الكنعان) المذكورون فى التوراة والذين لا يزالون سلفهم الممتد إلى يوم القيامة على الرغم من محاولات تغيير معالم الأرض بعد اغتصابها واتباع كافة أساليب

---

(١) سفر القضاة ١٩: ١١-١٢و صموئيل الثانى ٢٤: ٢١-٢٥.



الإخراج، تلك المحاولات والأساليب التى يتبعها معشر يهود وتـشهد بأنهم أعظم وأشد الناس معاداة للسامية.

وعليه فإن ثمة خيانة تلحق العرب والمسلمين إن هم فرطوا فى شبر واحد من أرض فلسطين قاطبة أو فى قدسهم الشريف على وجه الخصوص، وذلك بموجب الوثيقة العمرية التى أمرنا من المعصوم ﷺ بأن نعض على سنة صاحبها بالنواجذ، تلك الوثيقة التى نصت على ألا يسكن أرض إيلياء (فلسطين) يهودى واحد، والتى جاء فى آخرها: "وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين".. بل وبموجب نصوص التوراة نفسها التى باسمها ينتهكون العرض ويحتلون الأرض ويريدونها من النيل إلى الفرات، إذ التوراة عينها هى التى انتزعت منهم حقهم فى العودة إلى أرض فلسطين – التى هى فى الأساس ليست لهم – وذلك بعد أن عاودوا أغاظة الرب بمعبوداتهم الباطلة، وتآمروا على أنبيائه وحرفوا الكلم عن مواضعه، وبعد أن خالفوا شرائعه ووصاياه، فاستحقوا بذلك أن يبددهم إلى الزوايا ويبطل من الناس ذكرهم[1]، ويذلهم ويستأصلهم

(١) سفر التثنية٣٢: ٢٦.

من الأرض التى وعدهم من قبل بامتلاكها ويشتتهم فى جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها(١).

ألا فليذهب أولئك الأنجاس وليرحلوا عن ديارنا ومقدساتنا، وليبحثوا عند من منّوهم بالرجوع إلى فلسطين عن مكان آخر، أو فليعودوا من حيث جاءوا .. فلا مكان لهم بيننا، وللبلاد المقدسة أهلها، ويتوجب عليهم حتى يقضى الله فيهم أمرًا كان مفعولا، أن يكفوا عن ظلمهم وبغيهم وعبثهم بالحرمات والمقدسات وإلا فـ ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾ (الشعراء:٢٢٧)، ﴿ **وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار** ﴾ (الرعد:٤٢).

---

(١) سفر التثنية٤: ٢٥-٢٧، ٨: ١٧-٢٠، ٢٨: ٦٣، ٦٤، ٣٠: ١٥-٢٠، ٣٢: ٢٦وسفر الملوك الأول ٩: ٣-٩ وسفر الملوك الثانى ١٧: ١١-٢٠ وإرميا ٢٥: ٢٣.



محتويات الكتاب

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن يقدم للقارئ المسلم مجلة «منبر الإسلام» فى ثوبها الجديد تفتح آفاقها على كل جديد ومفيد.. تقدم الفكر المستنير الذى يبنى الشخصية المسلمة.. تخاطب الروح والعقل بموضوعاتها المتنوعة وهديتها مجلة الفردوس «مجلة الطفل المسلم» التى تحمل تطلعات الجيل الجديد.

كما يسر المجلس أن يزود المكتبة الإسلامية فى جميع أنحاء العالم العربى والإسلامى بإصداراته المتنوعة من أمهات كتب التراث الإسلامى والموسوعات المتخصصة بالإضافة إلى المنتخب فى تفسير القرآن الكريم باللغة العربية واللغات الأجنبية: «إنجليزية - فرنسية - ألمانية - روسية - إسبانية - إندونيسية» وغيرها من مؤلفات كبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى.

الاشتراكات: يخاطب بشأنها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى
قيمة الاشتراكات السنوية (١٢ عدداً)
أولا: داخل مصر (٣٠ جنيها مصريا).
ثانيا: خارج مصر كالآتى: دول عربية وأفريقيا (٩ دولاراً أمريكياً) دول أوروبية (١١ دولاراً أمريكياً). دول أمريكا وكندا وآسيا (١٤ دولاراً أمريكياً). أمريكا الجنوبية واستراليا: (٢٢ دولاراً أمريكياً).

القاهرة - ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى

Website : WWW.islamic- Council. org- WWW.islamic- Council. com
E-mail : Islamic_Council _ eg@yahoo.com

الثمن ١٠٠ قرش